الدكتور زكي مبارك

الدكتور زكي مبارك

رسائل حب مجهولة

مجنون سعاد

دار الحكمة
للطباعة والنشر

Twitter: @ketab_n

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار الحكمة
للطباعة والنشر

دمشق - سورية - بناء سادكوب - الحلبوني

سجل تجاري ٢٤٩٦٨

هاتف ٢١٢٩٦٧ - ٢٣٠٧٣٨

ص.ب ٧٨٧ - دمشق

ص.ب ٥٧٢٠/ ١١٣ بيروت

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

رسائل مجنون سعاد

بقلم : الدكتور بديع الزمان

رسائل تصور أعنف مآساة غرامية في العصر الحديث

« يسر جريدة الصباح أن تقدم الى قرائها الاعزاء هذه الرسائل بالتسلسل ، وهى تصور أعنف مأساة غرامية عرفتها مصر في العصر الحديث ، وصاحب هذه الرسائل طبيب شاب يكره النشر في الجرائد والمجلات ، ولكنا أقنعناه بأن الادب العبقري لا ينبغي أن يكون ملك أصحابه ، وأنما هو ثروة الأمة تتصرف فيه كيف تشاء ، وقد رجانا أن تنشر باسم مستعار ، فأقنعناه أيضا بأن من الخير له أن ننشرها باسمه الصريح . . .

ونرجو ألا يمر زمن قليل حتى يتبين القراء الافاضل أن « بديع الزمان » في مواهبه الادبية ليس أقل من المازنى ، والعقاد ، وهيكل ، وزكى مبارك ، وطه حسين ، وتوفيق الحكيم ، ولو وجد هذا الشاب من ينصفه لجعله أمام الكتاب في هذا الجيل » . . .

مجلة الصباح

* * * *

Twitter: @ketab_n

« هناك كتاب لم يسبق له مثيل ولا نـظير هـو « مجنون سعـاد » وهى رسائل أنشأها الدكتور « بديع الزمان » ، أنـا ذلك الـدكتور وأنـا ذلك المجنون وأنا ذلك البديع .

كانت هذه الـرسائـل ترسـل بطريقـة سريـة الى صاحب مجلة « الصبـاح » لأننى من أكابـر المفتشين بوزارة المعـارف ، ولا يجـوز لرجل من أكابر المفتشين أن يتحدث عن الحب والجمال .

بدأت تلك الرسائل في بغداد . . . لم تكن الموحية ليلى البغدادية وأنما كانت ليلى قاهرية رمت سهمها فأصمتنى . .

وأنا في بغداد أعتصرت فؤادى وأودعته تلك الرسائل . »

زكى مبارك

Twitter: @ketab_n

مقدمة :

بقلم : كريمة زكي مبارك

مجنون سعاد اذن هو زكى مبارك . . . فياترى من هى سعاد ؟

في رسائل مجنون سعاد قال زكى مبارك ان سعاد من أسيوط . . فهل هى فعلا من أسيوط ؟ وهل اسمها سعاد ؟

يقول زكى مبارك في كتابه « ليلى المريضة في العراق » :

« وأنا في بغداد في الاسبوع الثاني تلقيت رسالة من الآنسة جيمى التى ملكت نهاى حينا من الزمان ، وهى تسأل وتلح في السؤال عن ليلى المريضة في العراق ، وللآنسة جيمى حقوق ، فقد كانت أوهمتنى في السنين الخالية أن الهوى اله معبود ، وبالرغم من تجنيها في الايام الاخيرة فقد أحسست أن اشارتها أمر يجب أن يطاع . ومنيت نفسى برضاها في الليالى المقبلات ، حين يسمح الدهر بمسامرة الانجم والزهر على ضفاف النيل » .

اذن أعود فأتساءل . . . جيمى ؟ ! ومن هى جيمى ؟ !

هل جيمى هى سعاد ؟ أم حبيبة أخرى ؟

في ديوان زكى مبارك « ألحان الخلود » والذى طبعه زكى مبارك سنة ١٩٤٧ . .

يقول زكى مبارك :

مدينة المنصورة هى وطن سعاد التى اوحت رسائل « مجنون

Twitter: @ketab_n

سعاد » الى الدكتور بديع الزمان ، وهى بنية لطيفة ظريفة وصلت بقلبها قلبى . .

أنها فنانة من الطراز الاول وعن أمها ورثت معانى الحنان . .

دخلت البيت يوما على غير ميعاد . . فنادت الأم بنتها لتقول :

« ألم أقل لك يا بنيتى ان الدكتور هافف على قلبى » . .

لو نشرت هذه الفتاة رسائلي اليها لكانت فضيحة تميد لها رواسى الجبال . .

كان أخوها « أنور » يلعب على العود عند قدومى ويغنى ، وهو من أكابر الفنانين . .

ثم ثارت الغيرة في صدره يوما . . فقال :

لقد أخبرونى أنها تزوجت فهل يأتيني بالطلاق بشير

ويمضى زكى مبارك . . فيقول :

في كتاب « ليلى المريضة في العراق » وثيقة بخط جيمى منقوشة بالزنكوغراف . .

وفيها تقول جيمى :

« أنا مريضتك الاولى ، فتعالى الى يا طبيبي » . .

ثم يقول زكى مبارك : في كتاب « العشاق الثلاثة » : فاتنى أن أقف عند قول كثير :

وما مر من يوم على كيومها وأن عظمت أيام أخرى وجلت

وفاتنى أن أقف عند قول كثير :

وما أنا بالداعى لعزة بالجوى ولا شامت أن نعل عزة زلت

Twitter: @ketab_n

وقد زلت نعل عزة فأسلمت زمامها الى رجل لا يدرك ما فيها من كرائم المعانى ، وما ارتضاه كثير من الصفح لا ارتضيته لنفسي » .

أذن سعاد ليست من أسيوط وأنما من المنصورة . . وسعاد ليس أسمها « سعاد » وانما « جيمى » . . وجيمى هو اسم « الدلع » لتلك الفتاة التى أحبها زكى مبارك . . فمن هى تلك الفتاة ؟

من هى تلك البنية اللطيفة التى أحبها زكى مبارك ؟

هي شاعرة جميلة فنانة وكاتبة ، أطال الله في عمرها . . . لها أكثر من ديوان شعر . . . ولها أكثر من قصة طبعتها ونشرتها . . . ولها قصة خالدة ، هي قصتها مع زكى مبارك . . .

وقد أوحت الشاعرة الجميلة لزكى مبارك بأكثر من قصيدة . . .

في هذا الكتاب « مجنون سعاد » قصيدة على لسان الدكتور ناجي . . . والقصيدة نجدها بعد ذلك في ديوان زكى مبارك « ألحان الخلود » تحت عنوان « أحبابي » . . وأولها :

وأن أهل أسيوط لا زلتم بعافية وأن تمرد وجدي بكم دائي
أسلمتموني لدهرى بعد ما بليت من قسوة الصد والتبريح أحشائي

وفي ديوان « ألحان الخلود » أيضا قصيدة أخرى تحت عنوان « أدب الربيع » . . .

والقصيدة من وحى الشاعرة الجميلة جيمى . .

وللقصيدة مقدمة نثرية يقول فيها زكى مبارك :

كانت بينى وبين تلك الروح أشياء بعد رجوعى من بغداد . . . عدنا الى « كازينو » القناطر الخيرية مرة ومرتين ومرات وأمتعنا أرواحنا وأسماعنا بهدير الامواج وتناجينا بين أشجار تلك الحدائق الغناء . .

Twitter: @ketab_n

طـاب لي أن آخذ لهـا صـورة وهى تبتسم لـلأزهـار بـأرق من بسمات الازهار ، فطربت لذلـك ، وشع فيهـا نور الجمـال ، وسحر الدلال . . .

أنا لا أريد أن أثير تلك الذكريات ، فقلبي كله جروح وقروح ، وأنما أحب أن أنص على أن تلك الصورة هي الموحية لقصيدة « أدب الربيع » . . .

هـذا ربيعـك يـا فؤاد زمن الغرام هو الـربيع
مـا الـزهـر أو ألـوانـه الا فنـون من دمـوع

* * * *

انى أحـب . . أحـب ولـلمـلاحـة أصـبـو
مـاذا تـراه الـلـيـالي مـاذا تـرى الأيـام
الحسـن وحـي خيـالي والـشـعـر لـلأحـلام
حفـظت في الحب عهـدك يـازهـرة في الـربـيـع
فـاحفظ عهـودي عنـدك عهـد الهـوى لا يضيـع
أني خـلقـت جمـالـك وأنت أبـدعت شـعـرى
مـا كـان سحـرك يـومـاً الا خـيـالـه سحـرى
مـن أنت في الـزهـرات لـو شئـت سـمـيـتـك
أني بـوحـي الهـوى مـن مهـجـتى صـغـتـك
لـون كـلون الـورود عنـد اضـطرام الضلوع

ما ذلك اللطف
مـا ذلـك الـظرف تكـون من سـنـتريس؟
تكون من باريس ؟
تـكـون في بـغـداد يـا ذلـك الـروح

* * *

Twitter: @ketab_n

ما عبقر بقدير أن يصوغ هوى ... كمثل روحك يا بلبال أحلامي
طابت لقلبي الليالي بعد ما عصفت ... وأزهرت بك في الأيام أيامي
عيناك ترسل بالاقباس صافية ... كالزهر يشرق في آصال نيسان
ان السنا من سناها قد أثار دمى ... عيناك يا فاتني بالحسن عينان

كأس الرحيق صدعته ... وللبيع وهبته
رحيق روحى عرفته ... صهباء ذاك الرضاب
معايب هذا الزهر أن فنونه ... صبايا غرام لا يقمن على عهد
لكل فتى منه نصيب كأنه ... وليد تناجيه النواظر في المهد
يحوم عليه العاشقون وانهم ... لأمهر خلق الله في صنعة الصيد
أتيت لهذا الزهر أبغى وصاله ... فأظهر ما عند الحرائر من كيد
ومن أنت يا زهر الربيع ولم تكن ... سوى وجنةمقبوسة النار من وجدى
صبايا ك يا زهر الربيع كثيرة ... وأفتكها ما يؤذن العين بالسهد
تمنيت لو أني اعتصرت خدودها ... جميعا لأحيا بالعصير من الورد
وهل في حياة المرء الا لحيظة ... اذا لطفت كانت شرابا من الخد
سلوا زهرة التفاح عما تريده ... ستنجب مولوداً له صورة الفهد
سلوا الاقحوان[1] الغض عمايرومه ... فان لم يجب طوعا فأخباره عندى
شقائق بيض باكيات من الندى ... لها عند أهل العشق حظ من الود
يعدونها عدا عساهم يرونها ... تخبرهم ان الحبيب على وعد[1]
سلوا زهرات يجهل الناس وسمها ... وينسون ما تسديه للنيل عن عمد
أزاهير مصر لا تعد وانها ... لأخطر من أن يشتارها المرء بالعد

* * * *

اني الى الورد عدت ... وفي حماه نزلت

---

(١) الأقحوان هو ما يسمونه بالفرنسية « مرجريت » وله أوراق مصفوفة تأخذ الفتاة في تقطيعها ورقة ورقة وهي تقول : يحبني ، لا يحبني فأن كان من نصيب الورقة الاخيرة كلمة « يحبني » كان ذلك بشيراً بقرب المحبوب

Twitter: @ketab_n

أصليته نار قلبي فراعه ما صنعت
فالجمر في وجنتيه مما عليه خلعت
من اللظي مات يشكو يا ليتني ما فعلت !

* * * *

قد يقفز القلب والروض المحيط به يزدان بالورد والسوسان والآس
لا يزهر القلب الا يوم يحرسه روح جميل لا جراح الجوى آس
ما قيمة الزهر ترنو لي لواحظة أن لم يجد بلماه ذلك القاس
أراه في كل حسن يستهام به بين الخلائق من جن ومن ناس
متى تعود وللأكواب وسوسة من فوره الراح يا وسواس وسواس ؟

* * * *

هذا مثالك في هذا المكان ضحى وأنت أجمل خطار وميساس
تهيم بالروض تجنى من أطايبه وأنت في الروض أسنى من سنا الماس
أصورة تلك ؟ أم روح معطرة كأنها في شذاها نفحة الكاس
وزاد الظباء من الاعشاب يانعة وزاد روحك من شعرى وأنفاسي

* * * *

وبعد . . .

بقيت كلمة وفاء لابد منها ، فأنا ابنة رجل عرف بالوفاء ، ولهذا فديوني ثقال . .

في المكتبات كتاب لزكى مبارك هو : « جناية أحمد أمين على الادب العربي » والسبب في اسم الكتاب هو ان الاستاذ أحمد أمين كان قد كتب مقالات في مجلة « الرسالة » بعنوان : « جناية الادب الجاهلي على الادب العربي » . . فرد عليه زكى مبارك بمقالات تحت عنوان « جناية أحمد أمين على الادب العربي » . .

Twitter: @ketab_n

ظلت هذه المقالات مبعثرة الى أن طلب الاديب رجاء النقاش من أخي عبد السلام جمعها في كتاب من سنوات وسنوات . .

وتدور الأيام . . . ويكتب الاديب رجاء النقاش كلمة وفاء عن زكى مبارك في مجلة « الدوحة » في ديسمبر الماضى . . .

وأقرأ الكلمة فتشجيني وتبكيني . . . وأكتب ردى على رجاء النقاش في مقال ينشر في مجلة « الدوحة » . . . ثم . . . ثم يطلب الاديب رجاء النقاش جمع كتاب « مجنون سعاد » . . .

تحية لرجاء النقاش . . .

وسلاما على زكي مبارك صاحب هذه الكلمات :

« هل كان من هواى أن أنتهى الى ما انتهيت اليه ، فلا يكون لى من نعيم الحياة الا ما أصوره بقلمي من حين الى حين ، لأوهم نفسي أني أعايش الاحياء ؟

تباركت يا ربي وتعاليت ، فلولا لطفك وتوفيقك لما استطعت بفضل الجد أن ألقي أهل زماني بالاستطالة والكبرياء » .

وبعد . . . لله الأمر من قبل ومن بعد . . .

كريمة زكي مبارك

Twitter: @ketab_n

الرسالة الاولى

مولاتي سعاد . .

ليتني أعرف كيف وقع ما وقع بالامس !

ليتني أعرف كيف كنت لي وحدي بعد تناول العشاء في حفلة نادي القلم المصري !

بل ليتني أعرف كيف أمكن أن يتسامح أولئك الادباء الاغبياء فيجعلونا متجاورين على المائدة لأداعبك برجلي على طريقة « ميسيه » مع معشوقته « صاند » ؟

لقد كنت أحسبها لحظة عابرة لا تعود ، ثم دهشت حين رأيت من المفهوم عند أولئك الادباء الاغبياء انك لي وحدي ، واني صاحب الحق المطلق في أن أصحبك الى حيث أشاء ، وكانت لحظة سعيدة عرفت فيها أنني أملك أجمل انسانة شربت ماء النيل ، نعم كنت أجمل انسانة في حفلة ذلك المساء ، وهل كان هناك الا دميمات أو عجائز لا يليق بهن غير التصون بالتزام كسر البيت ؟

لقد كنت عروس النادي في ذلك المساء وكان النساء ينظرن اليك حاقدات غاضبات . أما الرجال فكانوا ينظرون الينا متأدبين خاشعين ، فمن الذي أعلمهم اني أحبك يا سعاد ؟

وهل بلغ من أدب محرر الليبرتية أن يفهم أني أحبك يا معبودتي ، وأن من الواجب أن نكون على المائدة متجاورين ؟

حدثيني كيف اتفق ذلك ، فقد أصبحت مجنونا أو كالمجنون ؟

Twitter: @ketab_n

أحب أن أعرف كيف جلسنا متجاورين على المائدة ، وكيف أمكن أن نتناجي برجلينا ، وهو تناج طريف في دولة الحب والفتون ؟

وما أنكر غمزات محمد عوض ، والدكتور كامل حسين ، ولكن ماذا يعنينى ؟ . . المهم أنك أصبحت لي وحدي ، وأني خرجت معك الى سينما البوريتنيير يا سعاد . . .

خرجت من النادي وذراعك في ذراعي ، وخرج الزملاء خروج المساكين ، فالشيخ مصطفى عبد الرازق لم يكن في صحبته غير نسخة من جريدة « البلاغ » ، والدكتور هيكل لم يكن في صحبتهم غير زوجات هزيلات فيهن الدميمة وفيهن الحيزبون ، وكنت وحدى أسعد الزملاء لأنك كنت في صحبتي يا سعاد . . .

وأنت تعرفين ما وقع في السينما ، فهل تذكرين ؟ . .

هل تذكرين أننا مثلنا رواية أجمل وأبدع من الرواية التي مثلت على الشاشة البيضاء ؟ . .

هل تذكرين ان النجوم وقفت في مسالكها لتنظر كيف يأنس العاشق بمعشوقته أول مرة ؟ . .

هل تذكرين أننا قرأنا كتاب الحب في لحظة واحدة حين التقينا في تلك الليلة ؟ . .

تذكرى ما وقع في تلك اللحظة ، ثم تصورى كيف عاد أولئك المغبونون الى منازلهم وهم بين أبله لم يذق طعم الحب ، وأديب فنان حرم لذة الحب ، وقد خرجنا من السينما قبل أن تتم الرواية ، ومضيت معك الى الفندق ، وكنت ظالمة يا سعاد ، فقد قهرتنى قهراً على الاكتفاء بالماء ، ولازلت أذكر كيف شرقت بالطعام ، وكيف أزدرده وأنا أسوغه بماء الدورق في فندق الكونتنتال ؟ . .

Twitter: @ketab_n

وهـل رأى النـاس عـاشقـا قبلى يشـرب المـاء في فنـدق الكونتنتال ؟ . .

اعترفي يا سعاد انك كنت قاسية في تلك الليلة ! . .

اعترفي يا سعاد انك ظلمتني أقبح الظلم حين قضيت بأن تظل صحيفـة ذنوبي بيضـاء ، ولكن لا بأس ، فحسبي أنني كنت الـرجل الـوحيد الـذي خرج من نـادي القلم وفي ذراعه فتـاة ساحـرة العينين معشوقة البسمات . . .

سيفني كـل شيء ، وتبقي الـذكـرى ، ذكـرى تلك الليلة يـا سعاد . . .

أريد أن أعرف مرة ثانية الى غرفتنـا بالكـونتنتال ، فقـد جنيت على نفسي أشنع جنايـة ، حين رحمتك فلم أقتلك بـالعناق ، وحين لبست ثياب المغفلين فصحبتك في مساء اليوم التالي الى محطة باب الحديد لتعودي الى أسيوط ، ولو كنت أعقل لحبستـك في بيتي الى يوم الحساب ! !

سعاد ، سعاد . .

لك على محبوبك الغالي نعمة لن ينساها ما عاش ، فقد كـان اعضاء نادى القلم يختالون بمراكزهم في المجتمع ، فقد كـان فيهم عميد كلية الآداب ، وكنت بفضلك سيدهم جميعاً ، فقد كنت وحدي عاشق سعاد . . .

مولاتي . . .

اعلن لك حبي ، فتفضلي على بصورتك المحبوبـة لأونس بها وحشتى ولأومن بـأن الحب قد جمـع بين أعـظم شـاب في القـاهـرة وأجمل شابة في أسيوط . .

بديع الزمان

مصر الجديدة

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثانية

سعاد . .

كانت ليلتي مملوءة بالصخب والضجيج . . . فقد اشتركت في أكثر من عشرين معركة في هذا المساء ، وكانت حجتي في غاية من القوة ، وكان صوتي أقوى الاصوات ، لأني لا أزال أذكر أني كنت منذ أربع ليال سيد الناس جميعاً في القاهرة . .

وقد رآني جماعة من أعضاء نادى القلم المصري في مشرب جروبي ، وشهدت ملامحهم وألحان أقوالهم أنهم يحقدون على حقداً شديداً ، لأني كنت على رغم أنوفهم فارس سعاد ، وتقدم أحد سفهائهم فأنشدني أبياتا في ذم فتاة اسمها سعاد ، ولكن هل يؤذيني ذلك ؟ وكيف أتأذى ، وأنا أرى طبيبا من المتشاعرين لا يتورع عن ايذاء عاشق مثلي ، وأنا كما يعرف وتعرفين من أصدق الناس ؟ . .

ليس من العجب أن أعشق ، ولكن العجيب أن ينسى قوم مراكزهم في المجتمع ، فيقفون مواقف العذال وفيهم من يشغل منصب الاستاذية في الجامعة المصرية منذ عشر سنين . .

ومن المؤلم أن أعجز عن دفع أولئك السفهاء . فقد أديت امتحاناتي النهائية أمام اثنين منهم سنة ١٩٣٢ ، والاستاذية لها حقوق يا سعاد . حقوق أعظم من حقوق الحب ، ولا تؤاخذيني على هذه الصراحة ، فما يسرك أن أكون من أهل العقوق . .

حدثتك اني كنت في معارك هذه الليلة من المنتصرين ، ولم يؤذني غير فضول الدكتور « . . . » والدكتور « . . . » وقد صبرت

Twitter: @ketab_n

على تفاهة هذين الطبيبين . صبرت صبر الساخر ، لا صبر الجبان ، وقد أفهمتهما بصراحة ان رعايتي لحقوق التلمذة لن تطول ، وأشرت اشارة خفيفة الى ما لهما من صلات العطف على ما في قصر العيني من الجمال الذي يداوى ويجرح القلوب !

وقد وقف الدكتور « . . . » عند حده ، أما الدكتور « . . . » فأخذ يلاحيني ، وستعرفين بعد قليل كيف أصفى ما بيننا من حساب ، وغضبة الله على من يتطلعون الى بسط السيطرة على تلاميذهم بعد أن يصبحوا من رجال الاعمال ! . .

سعاد . .

هل قرأت ما وصفت به الجرائد سهرة النادى ؟ . . لقد طنطنت بأسماء الزملاء ونسيت اسمى ولكن لا بأس ، فقد كان فيهم « . . . » وكان من الكتاب المبرزين قبل أن أولد ، وتفردت « الاهرام » بالاشارة الى زوجات الاعضاء . فتمنيت لو كنا زوجين في تلك الليلة . . ولكن هيهات أن أقبل من « الاهرام » أن تقول بديع ومدامته ، كما قالت عن الدكتور « . . . » وانما كنت أهتم أن تقول بديع وأهله ، أو بديع وسعاده . فمتى تكونين سعادى ، أو متى أكون بديعك ، بل متى يسير في الدنيا كلها اننى مجنون سعاد ! . .

وقد غاظني أن يهجم المازني على حفلة نادى القلم المصري ، استغفر الله ، فما هجم على الحفلة وانما هجم على النادي نفسه وتنبأ له بالموت . .

فهل يعلم هذا الكاتب المتحذلق ان نادى القلم كان السبب في عشق متوهج لم يقع مثله في الشرق ؟ . .

هل يعلم هذا الكاتب اننى بفضل نادي القلم عرفتك يا سعاد ؟ . .

Twitter: @ketab_n

وماذا يعيبون على نادينا ؟ وماذا يعيبون عليه وهو أصدق شاهد لحلاوة الانسجام بين الجنسين ؟ . . ان المازني في مقاله « بالبلاغ » يقول انه لا يمثل مصر ، لأن فيه كثيراً من الشخصيات الاجنبية ، وهذا حق ولكن هل من الصدق ان نحكم بأن محررى الجرائد الاجنبية في مصر بالقياس الى اللغة ، أما محرروها فهم قوم يعيشون في مصر ، وفيهم المحسن والمسيء ، كما يحسن المصريون أو يسيئون . .

سعاد . .

لا يحملنك التعصب الوطني على الغضب من كلامي ، فقد علمت أن الذي اقترح دعوة الاديبات لحضور ذلك العشاء محرر في احدى الجرائد التي تصدر في مصر بلغة اجنبية ، وبفضل اقتراحه وجهوا اليك الدعوة مع انك في مدينة نائية ، واين القاهرة من أسيوط ؟ وبفضل حضورك يا سعاد عقدت اكبر وثيقة غرامية في العصر الحديث . .

كان في نيتي ان ارد على المازني في « البلاغ » ، ولكني خشيت ان يتأرث عناده فيلفح النادي بمقالة ثانية ، فيتخاذل الاعضاء ثم لا تكون سهرة ثانية ولا اذوق لذة الغزل بالرجلين على المائدة يا سعاد . .

وقد أصبحت أخشى ان يتقوض هذا النادي ، لأن أعضاءه كهول وزوجاتهم عجائز ، ونادى القلم في أصل نشأته لا يرمى الا الى غاية واحدة . . هي ارهاف الذوق .

وكان يكفي ان تكون جذوته المشبوبة ، ولكني لن أمكن أحداً من الاقتراب منك . . . ولن اسمح لعبقرية ان تتفتح بالنظر اليك . . . وقد آن أن أصرح بأن حياة هذا النادى لم تعد تهمني ، فقد صار من الحتم أن تكوني اسيرة هواي ، وأن تحضري لزيارتي

Twitter: @ketab_n

بالقاهرة حين اشاء ، أتفهمين يا شقية ؟ أتفهمين؟ . .

حدثيني كيف سكت عن رسالتي الاولى ؟ . . هـل من الكثير على شاب مثلي ان يتهتك في الحب ؟ . .

أنا أعرف أن الـرسالـة الاولى وقعت فيها كلمـات نابيـة ، وهو كذلك ، وهل يمكن ان اميز بين ما يليق وما لا يليق بعد أن تعانقا قلبانا باخلاص ساعة من زمان ؟ . .

اعترفي بحبي يا شقية ! . .

فإن لم تفعلي فسأتركك فريسة الحزن طول حياتك فقد أرسلت الى صدرك نظرات من السهام المسمومة ، وما رشقت فتاة بسهامي الا عزت عليها النجاة وعز الخلاص . .

سعاد . .

ان هذا الحب فرصة حياتك لا فرصة حياتي ، فأنا استطيع أن أجد ألف سعاد ، أما أنت فلن تجدي فتى مثل بديع الزمان . .

آه ، ثم آه . .

وهل من الادب أن أفوه بمثـل هذا القـول ؟ . . اننى اهدد ، وأنسى من أهدد ، أنا أنسى أنك قد تغضبين وأنسى ان مصيري أصبح في يديك ، وأن كلمة منك قد تقذف بي في الهـاوية أو تـرفعني الى سموات النعيم . .

تـوكلى على الهوي وانـطقي كلمة الحب ، فقـد كان مجلسنـا بنادي القلم المصري مجلساً مكشوفاً ، وأدباء القـاهرة لئـام لا تخفي عليهم حركات الأرجل ولا غمزات العيـون ، فان لم تعتـرفي بالحب راضية فستعترفين كارهة ، وسوف تعلمين ! . .

مصر الجديدة « بديع الزمان ، بل مجنون سعاد »

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثالثة

أما شبعت من الصمت ، يا ناكثة العهد ؟ . .

هل يكون حبك سرابا في سراب ؟ . .

بئس ما صنعت لنفسي حين رأيتك أهلا لحبي . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الرابعة

سعاد . .

من المؤكد انـك تلقيت رسـالتي الاولى ، ورسـالتي الثـانيـة ، ورسالتي الثالثة ، فليس من المعقول أن يضل ساعي البريد عن منزلك في شارع الحمراء ، ومع هذا لم يصل منك جواب . .

واعترف بان عذرك مقبول ، فقـد يكون في اجتمـاعنا في تلك البيئة المخضرمـة التي جمعت بين المصريين والاجـانب سببا في ان ترق منك الحاشية . .

واجتماع المصريين بـالاجانب يفتـح ابواباً من الشر الـظريف وأعترف أيضا انك حين رجعت الى أسيوط غلبت عليك حصانة أهل الصعيـد ، فـرأيت أن تنسى الى الابـد لحـظات الحب مـع الـطبيب الناشىء بديع الزمان الذي قضى ظلم المجتمع بأن يظل اسمه مجهولا بين الاسماء . .

أرأيت كيف اعتـذر عنك ايتهـا المحبـوبـة الجـافيـة ؟ . . أن مطامعي فيك ، أيتها الغادة اللعوب ، لن تنسيني الواجب نحو وطني ، فأنا أتمنى أن يظل الصعيد قلعة حصينة لا يغزوها اثم ولا فتون . .

ولكن هذه العاطفة الوطنية لا تنسيني شهوات النفس يا سعاد ، وللنفس شهوات ، ولو كانت العواطف الوطنية تنسى الرجال شهواتهم النفسيـة لأصبحت مصـر فبـأي حق تـطلبين أن أكـون وحـدى مثـال التضحية في الحب والوطنية ؟ . .

Twitter: @ketab_n

سعاد . .

اعترف بأن رسالتي الاولى وقعت فيها عبارات يأباها الذوق وقد يكون هذا هو السبب في اعتصامك بالسكوت ، ولكن كيف نسيت يا محبوبتي اني أعيش في زمن يغلب عليه الزيغ والارتياب ؟ . . كيف نسيت اني أقرأ فيما أقرأ عبارات لم يكن يحتملها ذوق الاسلاف ؟ فاعذريني اذا طاش لبي ، واحتمليني كما احتملت الاقطار العربية سخرية المازني ، وغرام زكي مبارك ، ولغو طه حسين ، وايمان هيكل ، وشطحات العقاد . .

سعاد . .

أنا ضحية هذا الزمن الذي يسود فيه الاسفاف ، فلا تؤاخذيني على السفاهة الاثيمة التي وقعت منى يوم اجتمعنا في سهرة نادي القلم المصري ، وصدقيني اذا قلت انني ارضي ان تكوني زميلتي في حدود التصون والعفاف . .

اسمعي يا سعاد . .

أن سكوتك عني صار فرصة طيبة أدرس فيها نفسي ، فقد كنت في جميع الاندية أعلن أعجابي بما تنشرين من القصائد والاقاصيص ، واليوم لا أراك كاتبة ولا شاعرة ، وانما أراك فتاة غبية لا تصلح لشيء ، وأن كان القدر الساخر أضافك الى الفتيات المثقفات ، ومنحك اجازة فنية تسيطرين بها على معاهد التعليم حين تشاءين . .

سعاد ، يا غبية ، اسمعي . .

ان ما تدعين من التفوق في الادب العربي والادب الغربي لن ينفعك عندي ، وستظلين في نظري جاهلة غبية الى أن تستطيعي قراءة

Twitter: @ketab_n

النقـوش المرسـومـة في صحـائف قلبي فـان لم تفعلي ـ وستفعلين ـ فسيحل عليك غضب الحب . .

انتظر جوابك يا سعاد قبل يوم الخميس ، فان لم يصل فسأقضى ليلة الجمعة في قطار الصعيد ، وعندئذ تشهدين كيف تكون المفاجأة حين يطرق بابكم فتى غريب قبل تباشير الصباح . .

مصرالجديدة بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الخامسة

سعاد . .

أرسلت اليك خطابا في الصباح ، وما أشد حزني كلما تذكرت انه سيصل اليك قبل هذا الخطاب . . . كان خطاب الصباح يهددك بالفضيحة بين أهل أسيوط ، فقد كتبته في لحظة تموج بالرعونة والطيش ، والشبان يا معبودتي لهم أحوال ! . .

ثم ذهبت الى عملي بمستشفي الملك ، فرأيت الدكتور محمد شرف ينتظرني في حجرة العمليات ، وانا كما تعلمين جراح مبتدىء ، لا يعتمد عليه في غير التعقيم ، ولا يطلب منه غير المعاونة الخفيفة التي لا تجر الى تبعات ومسئوليات . . وكانت العملية شق بطن امرأة أو بقر بطن امرأة ، كما يعبر المجمع اللغوي ، وكان لا بد من البنج ، وللبنج مقدمات ثقال ، أرجو أن يرعاك الله فلا تعرفيها أبداً يا سعاد . .

وكان الدكتور شرف في تلك اللحظة سيء الخلق ، فكان يرغي ويزبد ، وكانت المرأة المسكينة تتحمل سوء خلقه بصبر عجيب ، وفي تلك اللحظة تذكرتك يا سعاد ، تذكرتك بالجنس لا بالشخص فقد صح عندي ان المرأة أصبر من الرجل ، وأقدر على تحمل المتاعب والارزاء .

ثم أخذ ذهني يدرس ويحلل فانتهيت الى ما يمكن أن تتصوريه حين يصح التهديد فأطرق بابكم قبل تباشير الصباح ، وحين يستيقظ سعادة الوالد فيرى فتى غريباً في ثياب الغرماء ، فتى غريباً وقحاً يسأل

Twitter: @ketab_n

قبل الفجر عن سعاد ، وما الذي يمكن أن تتصوريه في مثل تلك الحال ؟ . .

ستقولين هذا فتى آنست وحشته في سهرة نادى القلم المصري ، وهو الآن يرد الدين فيفضحني في أسيوط .

والرجل يا معبودتي مخلوق سخيف ، فهو لا يعترف أبداً بأن المرأة تتصدق عليه بالحنان ، ولا يخطر بباله أن ما تملك المرأة من الضعف قد يكون أشرف مما يملك من القوة ، ولا يتصور ان نبل المرأة في بعض الأحيان قد يكون فيه تضحية أعظم من جوده بالنفس وهو يتقدم الى ميادين القتال . .

هذه خواطر طافت برأسي وأنا أشاهد تلك المرأة فكدت أهوى على يدها أقبلها لأنها من الجنس الصبور الذي تشرفه سعاد ، وتذكرت أختي مريم ، الأخت النبيلة التي ابتلاها الله بالتوائم ، فكانت لا تنجو من كرب الولادة في أقل من ثلاثة أيام ، وأي أيام ؟ . . أن الحي كله كان ينزعج من صرخاتها بالليل ، والجهال لا يعرفون أنها تشقي لتسعد الحياة . .

. سعاد . . أغفري ذنبي ، فلن تصل اليك الفضيحة من بديع ، ولن تفضحي أبداً ، ولن يعرف أحد أنني أسير هواك الا يوم يشاء الكرم أن تشرفيني فتذيعي بين أهلك أنني فارس سعاد . .

ومتى يجيء ذلك اليوم ؟ . .

متى يكتب محرر « الليبرتيه » أنه كان من الملهمين حين أجلس سعاد بجانب بديع الزمان في العشاء الذي أقامه نادي القلم المصري ؟ . .

متى يعرف الناس في جميع بقاع الارض أننا أصبحنا رفيقين لا

Twitter: @ketab_n

يفصل بينهما شرع ولا قانون ؟ . .

انهـا لكلمـة سخيفـة القـاهـا القلم بـلا وعي من الكـاتب ولا احساس . .

أأكون أنا الذي يسوقك الى مهاوي الفضيحة ؟ . .

أنـا الطبيب النـاشيء الذي يتفجـر دمعـه كـل يـوم في حجـرة العمليـات والذي يقـول رؤساءه بـأنه لا يصلح للجـراحـة لأنـه رقيق القلب . .

أنني ما تصورت المباضع والمشـارط وهي تمزق الأجسـام الا تذكرت الألسنة الاثيمة وهي تمزق الاعراض .

وما رأيت امرأة تحتضـر عندنـا في المستشفي الا تذكـرت امي حين كانت تحتضر ! . .

ولا رأيت سيدة تعاني ألم الولادة الا تذكرت أختي مريم ، ولا جاءت فتاة تعود أمها العليلة أو أباها العليل الا تذكرتك يا سعاد . .

محبوبتي . . آه . . بل معبودتي . .

لا يهمني أن تحبيني ، ولا يهمني أن تعودي فتغازليني برجليك كما تفضلت يوم سهرة نادي القلم المصري . . ولا يهمني أن نرجع الى غرفتنا بالكونتنتال . .

وانما يهمني شيء واحد : هـو أن تثقي بأنني لست فتى لئيمـا كأكثر فتيان هذا الزمان . .

أن كرامتي لا يجرحهـا الجفاء يـا سعاد ، وانمـا يجرحهـا سوء الـظن ، فاكتبي الي سـطراً واحداً تقـولين فيه : انـك تـأتمنيني على نفسك ، وانك تقبلين ان تكوني في رعاية مروءتي وادبي . .

أريد أن ارى في حياتي فتاة تأتمنني على عرضها وشرفها . .

Twitter: @ketab_n

أحب أن أرى ولو في الخيال فتاة تؤمن بأني ملك كريم آه . . آه . . آه . .

ما أشوقني الى الشرف . . ما اشوقني الى الشرف انني لم اسعد في حياتي الا مرة واحدة ، حين وثق عمي بادبي فترك ابنته في ضيافتي اسبوعين ، وكنت يومئذ اسكن في حارة الزعفران بشارع الخليج ، فقد استيقظت مرة فوجدت الغطاء قد سقط عن جسمها النبيل فغطيتها برفق كما أغطي أختي . . ثم عدت الى فراشي في طهارة الانبياء . .

ودارت الايام . . وتزوجت تلك الفتاة برجل من اعيان سملاى فكانت تتحدث عني في كل لحظة ولا يغار زوجها مني . وارجو أن تصدقيني اذا قلت أنه يتقرب الى قلبها باسمي ، لأنه يعرف أنني أحبُّ إليها من أخيها فؤاد . .

هل فهمت ما أريد يا شقية ؟ . .

هل فهمت أن بديع الزمان هو فرصة العمر في حياتك الغالية ؟ . .

لست شاباً فاسداً ، وان كنت نشأت في زمن فاسد ، فقد ورثت الشهامة عن ابي ، وورثت الطهارة عن امي ، ولي أجداد كانوا من أعاظم الرجال . .

سعاد . .

أغفري ذنبي ، ثم أغفري ذنبي . أن كلمة الفضيحة جرى بها قلمي من حيث لا اريد . .

والفرصة أمامك يا سعاد ، فان استجبت لدعوة هذا القلب

Twitter: @ketab_n

الصادق فسوف تذكرينني بالخير الجزيل . .

وأن كان هناك فتى غيري يعرف كيف يضلل الفتيات في ساعة العصرية فوق خزان أسيوط فطيري اليه بلا تهيب ولا استحياء . .

أما أنا فسأعرف كيف أنساك يا لئيمة ، ففي القاهرة ألوف من الفتيات الجميلات ، وسوف تسمعين بأخباري في المخاطرات الغرامية بعد حين . .

مصر الجديدة **بديع الزمان**

Twitter: @ketab_n

الرسالة السادسة

محبوبتي الغالية . .

هـذا هو لقبـك عندي ، رضيت أم كـرهت ، هذا هـو اسمك الغالي ، يا سعاد . .

أنت محبوبتي الغاليـة ، وأن شردت نـومي ، وأطلت سقمي ، وتمرد فيك بلائي . .

حدثيني : أيكون المحبون جميعاً في مثل حالي ؟ . .

أنهم أذن سعداء ! . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة السابعة

محبوبتي الغالية . .

في صباح هذا اليوم زار المستشفي رجل مدهش ، رجل مجذوب ، أي والله رجل مجذوب ، ولا أدري كيف سمح له البواب بالدخول ! . .

وقد طاب لهذا المجذوب أن يزور المرضى جميعاً ، ولكن أتدرين ماذا صنع ؟ . .

كان جيبه مملوءا ، بل كانت جيوبه مملوءة بالشكولاتة والسجائر ، وكان له عشرة جيوب ، جيبان في البنطلون ، وأربعة جيوب في الجاكتة ، وأربعة جيوب في المعطف . .

ولا تؤاخذيني في عد الجيوب فلم أكن وحق عينيك من قدماء اللصوص ! !

وكان هذا المجذوب يتوسم الوجوه فيقدم الشكولاتة الى ناس . . والسجاير الى ناس . .

وفي نهاية الطواف رأيته يقف وقفة طويلة أمام سرير أحد الاطفال . . وكانت وقفة رائعة جداً ، فقد أخذ يقبل الطفل ويبكي ، وقد انزعج الطفل لحظة . . ثم أستأنس ، كأنه أحس في مداعبة ذلك المجذوب روحا من عواطف الآناء . .

وفي تلك اللحظة تذكرتك يا سعاد ، تذكرت اني طفل في الحب ، وتذكرت أن قلبك لن يصل الى ما وصل اليه قلب ذلك المجذوب الا بعد أعوام طوال . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثامنة

محبوبتي الغالية . . .

وقع اليوم حادث لم يقع مثله في أساطير الاولين ، فقد أخبرتنا ادارة المباحث السرية ان مستشفي الملك قد تقع فيه حادثة قتل ، ولم نفهم حقيقة المراد من ذلك ، ولم نشأ أن نستفهم لئلا نتهم بالغباء والجهل ، وقد فهمنا على وجه التقريب أن بعض المرضى قد تكون لهم في الخارج ضغائن واحقاد ، ولكن ماذا نصنع ؟

أنفتش الزائرين باسم التخوف من حوادث القتل ؟

لقد وجدنا الحيلة ، وهي تفتيش الزائرين باسم التخوف من السجاير والكيوف . .

وهي حبكة لطيفة ، أليس كذلك ؟

قولي الحق يا غادة أسيوط !

وقد طاب لي ، ولا أدرى كيف ؟ أن أكون من المفتشين ، وكانت فرصة عرفت فيها ألوانا من الوجوه الصباح . .

وفي أثناء هذه العملية السخيفة رأيت امرأة تدخل بعينين ترسلان السحر والفتون ، فرأيت أن أعترض ، ولكن أين من يسمع ؟

فان سمعت بأن مستشفي الملك وقعت فيه حادث قتل فافهمي منذ الآن أن تلك الحادثة لم تقع الا بفضل هاتين العينين ، وأخشى أن أكون ذلك القتيل . .

أراك تغارين ؟ لا بأس ، فمحبوبك يا سعاد لن يموت الا وهو شهيد العيون . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة التاسعة

محبوبتي الغالية . . .

لم أؤد عملا نافعاً في هذا اليوم ، فقد تمارضت وهربت من منظر الدماء في حجرة العمليات ، ثم علمت بعد فوات الوقت ان المستشفى أجريت فيه عملية خطيرة لشاب كان ينافسني في المدرسة السعيدية ، سقاه الغيث ، كان ينافسني في اللعب لا في الحب ، ولو انني حضرت لعاونت في تضميد جروحه ، وكفرت عن بعض ذنوبي يوم كنت أغتابه بين الرفاق بلا سبب معقول . .

المدرسة السعيدية ؟ المدرسة السعيدية ؟

تذكرى يا سعاد انها مدرستي الجميلة التي تحترم عبقرية الفتوة وعبقرية الاجسام والتي قهرت فهيم بك على احترام آراء التلاميذ . .

مدرستي المحبوبة التي هزمت ثانوية أسيوط سنة ١٩٢٤ ، وكنت صاحب الفضل في انتظار السعيدية على ثانوية أسيوط . .

لا تحتدي على محبوبك الغالي ، يا محبوبتي الغالية .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة العاشرة

محبوبتي الغالية . . .

وقع اليوم حادث مضحك ترامت انباؤه الى جميع الزملاء ، فقد شاع في ارجاء المستشفى اني حضرت سكران ، وهذا يقع احيانا ، لكنه لا يقع مني وانما يقع من زميلي أنور ، ومن أجل ذلك طارت الاشاعة بين الممرضين والممرضات بسرعة البرق ، ونظر الاطباء بعضهم الى بعض نظرات فيها معاني الشماتة والازدراء ، وقد تركت الاشاعة تنساب بين أروقة المستشفى كما تنساب الحية الرقطاء بين الادغال ، وكانت لي سياسة في السكوت عن هذه الاشاعة ، فقد كنت احب أن أعرف كيف يعطف الناس على من تزل قدمه وكيف يشمتون ، وساءني يا سعاد الا يتقدم لتهدئة الخواطر غير رجل واحد ، وهو ممرض عجوز اسمه عبد الستار ، فقد سمعته يقول من حيث لا يراني . هذا مستحيل ، هذا مستحيل ، ان الدكتور بديع رجل مهذب وابن ناس طيبين ، ولا يشيع عنه السوء غير أولاد الحرام . .

تركت الاشاعة تركض من حجرة الى حجرة وأنا أبتسم أبتسام السخرية من سخف الناس ، وأنما تركتها بلا صد ولا دفع لأني لم أحضر سكران ، وما أذكر أبداً أني شربت مرة الى حد السكر حتى أقع في مثل هذا السخف ، وأنما رأيت يا محبوبتي الغالية أن أجرب أدب المخلوقات التي لا تنقد ما تسمع ، ولو كانت تنقد ما تسمع لعرفت أن من المستحيل على مثلي أن يحضر الى مستشفى الملك وهو سكران ، وأشهد أن متعتي كانت عظيمة بمناظر اللؤم الفاضح الذي وقع فيه الزملاء ، ولم يؤذني الا شيء واحد هو ما علمته من جزع

Twitter: @ketab_n

الجراح العظيم ، فقد هام على وجهه كالمجنون ليراني ، فلما وقع بصره عليَّ قال : ما هذا الذي تصنع بنفسك يا بديع ؟

تذكر يا بني أن الذي أقترح تعيينك في مستشفى الملك هو محمد شرف ، وتذكر جيداً أني لا أثق بأحد من شبان هذا العصر ، وأنما وثقت بك مراعاة لعمك ، وهو صديق لا تسعني مخالفته ، وسأتصل به الآن تليفونياً ليفصل بيني وبينك . .

والحق يا محبوبتي أني حضرت الى مستشفى الملك سكران ولكني كنت سكران بغير الكأس ، كما في أغاني عبد الوهاب . . كنت سكران لأني تلقيت خطابا جاء فيه ما نصه بالحرف :

« . . . والآن أعود الى رسائلك العذبة يا بديع ، لقد كانت نسمة شذية عاطرة بعثها قلبك الكبير ، ولم أعجب لصراحتك ، فاني أعرف أن قلبك يعيش بالحب ، وكم كنت أتمني أن أكون فتاة هذا القلب أوحي اليه فيشدو ، وأحبوه بالعطف فيسعد ، ولكن شاء القدر أن يمر عليَّ عابراً ، وله العذر ، لأنه ولد في غير موطن ، ودرج في غير رياض ، وشاهد من الغيد الحسان ما يفوقني » . .

وأنما سكرت من هذا الخطاب لأنه ورد من أسيوط ، وختم البريد يشهد بذلك ، وهل في أسيوط من يخاطبني غيرك يا سعاد ؟

سكرت وانتشيت وعربدت ، وفي الحياة لحظات يباح فيها السكر والنشوة والعربدة ، ولو رأيتك في هذه اللحظة لقتلتك يا سعاد ، والطبيب يستبيح قتل مرضاه في بعض الاحيان . .

ما هذا الذي تقولين ؟ لقد صرعت قلبي ، أنك يا شقية تفهمين انك توحى على الوحى والعطف ، والفتاة التي تعرف كيف توحى وتعطف هي ملك كريم أو شيطان رجيم ، والأمر في الدنيا كلها الى قوتين : قوة الملائكة وقوة الشياطين . .

Twitter: @ketab_n

فمن أنت يـا سعـاد ؟ من أنت ؟ تعـالى الي ، أنـا أحبـك وأشتهيك . .

أتغضبين من كلمة الاشتهاء ؟ هي كلمة لا معنى لها في ذهني غير العبادة ، أنـا العاشق المسكين الـذي أضرعـه الحب فقضى بأن يكون مجنون سعاد . .

أفي الحق أنك تؤمنين بأنك تملكين سعادتي وشقائي ؟ تعـالى إليَّ ، فان لم تفعلي فسأحضر اليك ، ولكن كيف ؟

أن شبان أسيوط يعرفونني جميعاً ، فقد هزمتهم في ملعب الكرة سنة ١٩٢٤ ، ولن ينسوا وجهي الا بعد أزمان . .

تعـالي إليَّ ، تعالي ، فقـد سئمت من الحب المـزيف الـذي أقترفه في شـارع عماد الـدين ، سئمت من الجرى خلف الممثـلات والـراقصات ، واشتقت الى الحسن المصـون الذي تـرفعين رايته يـا سعاد ، تعالي الى القلب المعذب والفؤاد المشوق ، تعالي واختبري أدبي ، تعالي يا محبوبتي تعالي ، تعالي الى المحب الصادق الـذي سيخلد اسم القاهرة وأسم أسيوط . .

مصر الجديدة **بديع الزمان**

Twitter: @ketab_n

الرسالة الحادية عشرة

سعاد . .

كنا حفرنا الاساس لبناء الحب ، فشاء لك اللؤم أن تطمري ذلك الاساس . .

أنا أوقدت في صدرك جذوة الحب ثم سكت عني ، وشاء لك النزق أن تنشرى رسائل الغرام وقصائد الحب في الجرائد والمجلات . . فلمن تنصبين تلك الحبائل يا رقطاء ؟

ومن هو الأبله المخدوع الذي تقدرين على اقتناصه بعد اليوم ؟

أحب أن أعرف من أي الصخور نحتت المقادير قلبك القاسي ؟

يا بنت حواء ، يا بنت المرأة التي شهد القرآن بأنها كانت السبب في شقاء الانسانية ، ماذا تريدين مني ؟

طلبت قلبي فقدمته ، طلبت شرفي فوهبته ، وفي يديك رسائل تملكين بها تشويه سمعتي في الخافقين ؟ فماذا تنتظرين ؟

أتنتظرين دمي ؟ لم يبق الا ذلك يا رقطاء . .
أسمعي يا غادرة ، يا شقية ، يا لئيمة . .
أتدرين لماذا أصبر عليك ؟ أتدرين ؟

أنني أصبر عليك لغرض واحد : هو أن تعرفي يا غادرة ويا شقية ، ويا لئيمة ، ان المروءة لا تزال لها جذور باقية في صدور الرجال . .

Twitter: @ketab_n

ويهمني أن تعلمي أني خليق بأن أقتل نفسي يوم يغلبني الحقد فأذيع ما بيننا من أسرار . .

أن الشرف عندي وحدي يا لئيمة ، فانشرى ما شئت من القصائد والاقاصيص ، وكاديني كيف شئت ، فسأشرب دموعي وآلامي ، وسأساهر النجوم وأنا أتعزى بقلمي وكتابي . .

يهمني يا غادرة أن أفضى الى قلبك بمعضلتين ، ان كان لك قلب . .

أما المعضلة الاولى فهي هواك ، وهو أخطر ما صادفت من المعضلات في حياتي ، وقد حاولت أن أتحلل من هواك فلم أفلح ، ولعل الله يرحمني فيمطر على قلبي شآبيب النسيان . .

أما المعضلة الثانية فهي مستقبلي يا سعاد ، ففي يديك رسائل أثيمة خطها قلمي ، ولك أب غيور يبرم وينقض وهو قادر على أن يخرجني من خدمة الحكومة باشارة تليفونية . .

وما يهمني وحياة عينيك أن أخرج من خدمة الحكومة ، ولكن يؤذيني أن أعرض أبي وأمي وأخوتي الى الجزع والفزع ، فقد يكون من العسير أن أظفر في الحياة الحرة بنصف ما أكسب من الحكومة ، ومرتبي في الحكومة هو عشرون جنيها ، وهو مبلغ ضئيل ، ولكن من أين أكسبه اذا فتحت عيادتي في شارع الغورية ، أو شارع المغربلين ؟

أرحمي مستقبلي يا سعاد ، فأنا جراح مبتدىء ، وأهل مصر لا يستهويهم غير الشهرة ، والموت على يد جراح مشهور أحب اليهم من الشفاء على يد جراح ناشىء مثل بديع الزمان !

سعاد . .

ما كان لي أن أنبهك الى هذه المعاني ، ولكننا مقبلون على

Twitter: @ketab_n

قـطيعة يـا محبوبتي ، والقـطيعة مـرة ، وقـد تسمعين بعـد حين أنني عشقت سـواك فتغارين وتحقـدين ، ثم تحملك الغيرة والحقـد على الانتقام منى . .

فان ثارت في صـدرك هذه الفكـرة الباغيـة فتذكـري أبي وأمي وأخوتي ، تذكري أنني لا أعيش لنفسي ، وأنما أعيش لأهلي ، وكنت أحب أن أعيش لك أيضا يـا سعاد ، ولكن قضى غـدرك أن نفترق ، فلنفترق ، والى الله تصير الامور . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثانية عشرة

سعاد . .

كنت أظن أن رسالتي الماضية ستحملك على الاستغفار والاستعطاف . . ثم خاب ظني . .

وقد رأيت أن أكون كريما الى آخر حدود الكرم فسافرت الى أسيوط لأراك وجها لوجه ، وأعرف كيف صدفت عني . .

وكانت ليلتي في القطار قاسية ، فما مررت بمدينة الا نظرت الى نورها وظلامها . . ثم قلت في نفسي : لعل هذا البيت المنير يتمتع بأنس الحب والوصل ، ولعل ذلك البيت المظلم يلبس ثوب الحداد على حب طلع ثم غاب ، وما أقسى ذكريات الحب الذي يطلع ثم يغيب !

وصلت الى أسيوط قبيل الفجر فمضيت أتعثر من شارع الى شارع ، ومن زقاق الى زقاق ، حتى طلعت الشمس ، وهممت بالذهاب اليك لأقبل جبينك الوضاح ، وأسال كيف صدفت عني ؟

ولكني خشيت أن تطردني . .

أكتبي اليّ سطراً واحداً أعرف به ان ظني كان أثيماً خشيت أن تطرديني يا سعاد، وخشيت أن يفتضح حالي بين شبان أسيوط، فأرمي نفسي في النيل من فوق الخزان، ويكون حالي كحال الشاب الذي رمى نفسه في النيل من فوق خزان أسيوط في سنة ١٩١٨، وهو يقول: « على روحي أنا الجاني» . .

Twitter: @ketab_n

وما يهمني أن أغرق وأنتهي ، وأنمـا يهمني أبي وأمي وأخواتي وأخوتي . .

أريد أن أعيش لأسعد أبي وأمي وأخوتي وأخواتي .

أريد أن أعيش لأملأ بيتي بالثروة ، وأحيط أهلي بالمجد . .

فمن أنت يا سعاد حتى أموت في سبيلك يا رقطاء ؟
موتي انت ، أما أنا فسأعيش . .

في مصر مليون فتاة أجمل منك يا سعاد ، أما أنا فبديع الزمان ، وهو شاب لا ثاني له في بلاد النيل السعيد . .

لن أمـوت من أجلك يـا سعـاد ، فهنـاك أبي وأمي وأخـوتي وأخواتي . .

ومن أنت حتى أموت في سبيل هواك ؟ من أنت يا شقية ؟

من أنت ؟
آه ، ثم آه !

أن هذه السخريـة لن تمنع من الاعتـراف بالحق ، فقـد طفت بأرجاء أسيوط وأنا أترنم بقول الدكتور ناجي :

يـا أهل أسيـوط لا زلتم بعـافيـة وأن تمـرد في وجدي بكم دائي
أسلمتموني لدهري بعد ما بليت من قسوة الصد والتبريح أحشائي

* * * *

فلو أتت ظبية « الحمراء » [1] غازية
قلبي ، لما وجدته غير اشلاء

---

(١) الحمراء : حى جميل من أحيا أسيوط

Twitter: @ketab_n

يا ويح نفسي . . أتنسوني وأذكركم
مقرح الجفن . . في صبح وأمساء
أن الذين بأمر الحب قد ملكوا
لم يتقوا الحب . . في ضرى وايذائي
لم يرمني الشوق يوما من منازلهم
الا تولوا مع الايام اقصائي
كم رحت أحمل آمالي لحبهمو
وعدت أحمل آلامي وايذائي

* * *

يا لوعة القلب لا شكواى نافعة
ولا بكائي بشاف مس ضرائي
أبيت أندب عهداً مر طيبه
كلمحة البرق في أعطاف ظلماء
وأرسل الزفرة الحراء لافحة
كوقدة الجمر في آجام قصباء

* * *

يا من يعز علينا أن نجازيهم
صدا بصد واغضاء باغضاء
لو ترحمون وصلتم شيقا كلفا
ألقى جفاكم عليه ألف بأساء

* * *

والدكتور ناجي زميل عزيز لا يسوءني أن أتمثل بشعره يا سعاد ، وهو لن يستطيع أن ينافسني في غـرامي ، فعليه أن يبكي ، وعلي أن أحب . .

Twitter: @ketab_n

أنه يوم وأحـد قضيته مشـرد القلب في أسيوط ، ثم رجعت في قطار المساء . .

ولم يفتني أن أزور ملعب الكـرة بمحطة الخـزان ، وأنـا دامـع العين ودامع القلب . .

وكيف أنسى أنني حضرت على رأس فريق المدرسة السعيـدية في سنة ١٩٢٤ ، وكنت صاحب الفضل في أن تنتصر السعيدية على ثانوية أسيوط . .

حملت لواء النصر في أسيـوط سنة ١٩٢٤ ، ثم نكست لـوائي في أسيوط سنة ١٩٣٤ . .

آه ، ثم آه !
وآه ، ثم آه !

والآن عرفت أن اللعب بالكرة غير اللعب بالحب !

مصر الجديدة **بديع الزمان**

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثالثة عشرة

سعاد . .

حدثتك بالامس كيف رحلت عن أسيوط ، وقد اكتفيت بقصيدة الدكتور ناجي في شرح همومي وأحزاني

فهل أستطيع يا شقية أن أشرح بقلمي كيف فارقت أسيوط ؟

ولمن أشرح ؟

ولمن أبين ؟

أن أملي في هواك قد أنقطع ، وكان الوهم يخدعني بأن أكون « ميسيه » وأن تكوني « أيمية دالتون » ، كما تواعدنا في سهرة نادي القلم المصري ، وما كنت أعرف من هو ميسيه ومن دالتون ، لأني انتهيت من البكالوريا قبل أن تقرر دراسة اللغة الفرنسية في المدارس الثانوية ، وانما نقلت هذه الاسماء عنك يا شقية ، ثم راجعت ما كتب عن أصحابها في اللغة الانجليزية ، وكان في نيتي أن أتعلم لغة « ميسيه » لأحاورك بها عند التلاقي ، ولغة الانجليز وهم خصوم أحب الي من لغة الفرنسيين ، ولو أنك دخلت الجنة لهربت منها وآثرت الجحيم !

هذا آخر خطاب أكتبه اليك يا سعاد ، فليكن فيه كل ما أشتهي أن أقول ، أنا الجاني على روحي ، أنا الذي أراد أن يقترب من كوثر الحب فغرق .

أنا الذي أراد أن يقترب من نور الحب فاحترق ، أنا الذي أراد أن يصافح النعيم فلطمه الشقاء !

Twitter: @ketab_n

أحب أن أقول كل شيء . .
أحب أن ألفظ النفس الاخير في الحب . .

وأشتهي أن يكون حالي كحال الفراشة التي مدت خرطومها لتشرب من كأس الصهباء فغرقت في كأس الصهباء . .

سعاد ، يا شقية . .
اسمعي كيف فارقت أسيوط . .

وليس عندي فصاحة ولا بلاغة ، يا شقية ، فقد قضيت سبع سنين في كلية الطب وأنا لا أقرأ غير الانجليزية ، حتى ضاع ما تلقيته عن الشيخ حمودة في المدرسة السعيدية . .

فصاحتي يا سعاد من قلبي ، وبلاغتي يا سعاد من قلبي . . وأصدق الحديث ما صدر عن القلب . .

اسمعي يا سعاد ، أن كانت حواء تركت فتاة تفهم اسرار الرجال . .

اسمعي يا سعاد . .
ثم اسمعي يا سعاد . .
ولكن هل تسمعين ؟ هل تسمعين ؟

انتظرت القطار القادم من الاقصر على احر من الجمر ، كما يعبر أدباء آخر الزمان . .

وأين الجمر من اللهب المقدس الذي كان يشتعل في صدري ؟

ان العشاق من عهد آدم الى اليوم كانوا يرون الجمر نهاية النهايات في التوقد ، فكانوا يشبهون لوعة قلوبهم بالجمر المشبوب ، أما أنا فخلق آخر ، أنا دنيا تموج بالفتن والغرائب والاعاجيب ، ومن

Twitter: @ketab_n

يـدري فلعلي أصبح مثـلا في الحب فيهجر النـاس كلمة « الجمـر » ويضعون مكانها كلمة « بديع الزمان » . .

اسمعي يا سعاد . .

طفت بـأرجـاء أسيــوط . . ثم طفت حتى مللت ، ورأيت أن أشترى شيئاً من ذخائر أسيوط فلم يرق لعيني غيـر عصا غليـظة ثقيلة تقتـل بضربـة واحدة حيتين أو ثـلاث حيات ، فمتى أضـربـك بهـذه العصا ؟

يا شقية ؟ . . متى ؟ . . متى ؟ . .

غربت الشمس وبيني وبين قطار القاهرة ساعات ، فلم يكن بد من أن أقضي ساعات الانتظار على الخزان ، وياله من قنـطرة عجيبة تشبه الصراط بين الجنة والنار !

وكيف لا يكـون كذلـك وهو يفصـل بين المدينـة التي انهزمت فيها . . والملعب الذي انتصرت فيه ؟

وقفت على تلك القنطرة غريباً وحيداً ، فما مر فتى ولا فتاة الا أدرت وجهي خشية أن يعرفوني ، ومن الذي يجهل بديع الزمان . . الذي قهر ثانوية أسيوط في ملعب الكرة سنة ١٩٢٤ ؟

من الذي يجهلني في أسيوط . . وكنت مثار السمر في منـازل الامجــاد آل خشبــة ، وآل الهــلالي ، وآل ويصــا ومن اليـهم مـن الاقطاب ؟

كل من في أسيوط يعرفونني . . الا أنت يا سعاد !

ثم حل الظلام فاستأنست ، وحاولت أن أنظم الشعر كما يفعل زميلي الـدكتور نـاجي ، ولكني عجـزت ان قلبي كله شعـر ، فكيف أعجز عن القوافي والاوزان ؟

Twitter: @ketab_n

ذلك منتهي العجب !

وبعد لحظات طلع القمر . .

وعندئذ رأيت الخزان يموج بالعشاق والمحبين . . فتذكرت أغنية عبد الوهاب . .

« صعبان علي أشوف غيري متهني . . »

وكانت لحظة لن أنساها طول حياتي . .

فكيف كنت في تلك اللحظة يا سعاد ؟ كيف كنت وكيف كان الشعار الشفاف الذي يتغزل بجسمك الجميل ؟

وكيف كانت الاحلام التي تمرح وتلعب في قلبك الجميل ؟ وكيف كان الديوان الهزاز الذي يحتوى أخصب جسم عرفته أسيوط ؟

كيف كنت في تلك اللحظة ؟ خبريني كيف كنت ؟ . . فانه يسرني أن أعلم ان كنت سعيدة يا شقائي ويا بلائي ؟

لقد تسمعت الى العشاق فوق الخزان . . وتسمعت حتى وصل الى أذني رنين القبلات . .

آه ، ثم آه !

أن عشت فسوف أرجع الى تلك القنطرة ومعي فتاة ولو زنجية لأجرب التقبيل على مشهد من النيل فوق خزان أسيوط . .

ويسرني في مثل ذلك اليوم أن تكوني في القبر يا شقية ، لتغاري علي وأنت تحت التراب ، غضبة الله عليك وعلى جدتك القديمة حواء ؟

وطال الوقت وأنا أشاهد نعيم العشاق والمحبين في حسرة ولوعة ، ومر انسان . . فسألني عن الساعة فأخرجت ساعتي . . فاذا القطار لم يبق عليه غير دقائق فمضيت الى القطار كالمجنون من غير أن أجيب سائلي عن الوقت . .

صعدت الى القطار يا سعاد بدون عشاء ، صعدت وحدي بلا

Twitter: @ketab_n

مودع ولا مشيع ، وهو نفس القطار الذي ودعني عنده أكثر من خمسين شابا منذ تسع سنوات ، والحق كل الحق عند شبان أسيوط ، فقد كنت يومئذ منتصراً في الكرة ، وأنا اليوم منهزم في الحب ! !

ألم أقل لك يا سعاد أن اللعب بالكرة غير اللعب بالحب ؟

آه ، ثم آه !

لقد تمنيت أن يطول مكث القطار لأتمتع بمناظر الأنوار في أسيوط ، ولكنه أسرع فنقلني بلا ترفق ولا تلطف . .

وما كادت أنوار أسيوط تختفي عن عيني حتى استسلمت للنوم العميق . .

وفي ذلك اليوم رأيت أحلاماً جميلة . . كأحلام الطفل العليل الذي يرى صوره الحية وهو في مرض الموت . .

* * *

وقبيل الشروق رأيت الركاب يهرجون ويمرحون . . فصحوت ، وكنت أحب أن أذهب رأسا الى البيت لأرى كيف تترفق أختي فتحية فتنفض التراب عن ثيابي ، ولكني آثرت الذهاب الى عملي بمستشفى الملك . . فوصلت اليه قبل الميعاد بنحو تسعين دقيقة أو تزيد . .

وفي الساعة التاسعة صادفني الدكتور شرف فقال :

مالي أراك أشعث أغبر يا بديع ؟

فقلت : لا تؤاخذني يا مولاى ، فقد دفنت أكرم اعزائي بالامس ، وقضيت ليلى بالبكاء عليه !

وأنت تعرفين يا سعاد أني ما كذبت . فقد دفنت حبي ، وسأقضي عمري بالبكاء عليه ! وسأظل من أجله أشعث أغبر طول حياتي ، ان كان لي بعد هجرك الظالم حياة .

بديع الزمان مصر الجديدة

Twitter: @ketab_n

الرسالة الرابعة عشرة

سعاد . .

أنا غضبان ، فمن الذي يداوى غضبي ؟

كنت أظن أن مصيري انتهي اليك يا شقية ، ثم خانني أملي . . خانني زماني . . أتعرفين ما صنعت بعد رجوعي من أسيوط ؟

كنت أحسبني نجوت الى الابد من بلائي ، ثم شاء الهوى أن أظل عبداً لمخلوقة لا تحفظ الجميل . .

ما استطاع أهلي أن يواسوني ، ولا استطاعت أختي فتحية أن تمسح همومي وأحزاني ، ولا استطاعت أمي الغالية أن تمحو كروبي وأشجاني . .

الآن عرفت ان الرجل أشرف من المرأة ، فأنا أجد في هواى وأنت تلعبين . .

وأقسم صادقا أن الدنيا كلها طوع يدي ، فلى شباب ما عرفه أحد من أهلك في أسيوط يا سعاد ، ولو شئت لسحرت صبايا القاهرة في هواى . .

وما يصرفني عن ذلك غير الشعور بأنك مسكينة ، فقد تقعين في يد شاب سافل لئيم لا يعرف الواجب في حفظ أسرار الملاح . .

أنت مسكينة يا سعاد ، ومن واجبي أن أرحم المساكين . . اسمعي . . رجعت مبلبل الخاطر والوجدان

ذهبت الى القناطر الخيرية في يوم الاحد فما شفتني وتجولت

Twitter: @ketab_n

ساعتين في شارع فؤاد فما شفاني . .

وذهبت أعبث بحمامات المعادي وحلوان فما زادني ذلك الا كربا الى كرب ، ورأيت أن أقف في منتصف الساعة التاسعة مساء لأرى أسراب الملاح بعد الخروج من السينما في شارع عباس بمصر الجديدة . . فما شفاني ذلك . .

وذهبت الى غرفتي لأتلهي بالنظر الى السائرين في شارع الاهرام . . فما شفاني ذلك . .

أنا عليل ، أنا يا محبوبتي عليل . .

أكتب هذا الخطاب في الظهيرة ، وفي غرفة فيها أربع نوافذ . .

فالغرفة تطل على ثلاثة شوارع في مصر الجديدة ، ومع ذلك أراني في حاجة الى ايقاد المصباح . .

لا تستغربي ذلك يا شقية ، فقد ملأت حياتي بالظلمات . .

أحب أن أرى النور ، وأين النور ؟ أين النور الذي يبدد ظلام قلبي ؟

أن الشمس تبهر جميع العيون في مصر الجديدة ، وأعيش وحدى في ظلام . .

كل من في مصر الجديدة يلهون ويلعبون ، وأنا وحدى أسير الاحزان . .

في مصر الجديدة ألف فتاة يهمها أن تأنس بوجهي وبعيوني ، ولكن القدر عاندني فاقتص من كبريائي وقضى أن أعيش تحت رحمة فتاة سخيفة تقيم في أسيوط . .

Twitter: @ketab_n

سعاد . . أنا عليل ، أنا يا محبوبتي عليل . .

أنا الفتى الوحيد الذي يريد أن يقف هواه على فتاة وحيدة هي سعاد . . فأحسنى الي ، وقولي بصراحة أنك تحبين شابا غيري ، لأنطلق من عقالي وأمضي في الدنيا بلا رقيب من الهوى ولا حسيب . .

سعاد . . اسمعي ، اسمعي يا روحي . .

أفي الحق أن رسائلي اليك سمع بأخبارها ناس من أهل أسيوط ؟

أجيبي ، أجيبي يا شقية ، أجيبي يا سعاد . .

فقد كنت أصدق كل محال الا أن تفضحي أسراري .

كنت أظن أنني أخاطب فتاة قرأت ميسيه ولامرتين ، ثم شاء القدر الظلوم أن أعرف أني أخاطب فتاة أجهل من فتيات بولاق ، وما في بولاق فتيات جاهلات ، فقد علقت بهن أعواما طوالا وظل سرى مصونا فمن أنت بين الملاح يا رقطاء ؟

أحب أن أعرف من أنت ؟ فبفضاك استطال همي وبلائي . .

أنت سخيفة ولا ريب ، أنت تحبين الاستطالة على أترابك فتقولي أنك معشوقة بديع الزمان . . فهل تظنين أني لوحة اعلانات يا أسخف من أنجبت أسيوط ؟

من أنت يا لئيمة حتى أضيع من أجلك نعيم أبي وأمي وأخوتي وأخواتي ؟

من أنت يا بنت حواء ؟

من أنت يا حلوة يا جميلة ، يا أعذب فتاة ملكت قلبي وعقلي . .

Twitter: @ketab_n

أحبك يا سعاد ، ولو رأيتك لقبلت قدميك بلا تورع ولا استحياء . .

أحبك يا مسكينة ، لأني سأكون آخر من يعطف على المساكين . .

أحبك يا سعاد ، وفيك أتقي الله وأتقي الحب . .

أحبك لأنك لئيمة ، واللئام ضعفاء ، ومن واجبي أن أعطف على الضعفاء . .

أحبك لطرفك الساحر وجسمك الفينان . .

أحبك لما تعرفين وما تجهلين . .

أحبك لسبب واحد . . هو انك لئيمة ، وما قاسيت من لؤم الناس هو السبب في عبقريتي ونبوغي . .

أحبك يا سعاد ، فمتى أقبل قدميك يا محبوبتي الغالية ؟

متى ؟ متى ؟

مصر الجديدة **بديع الزمان**

Twitter: @ketab_n

الرسالة الخامسة عشرة

اليك أرجع ، يا سعاد ، وما كنت أحسب أنني سأرجع . .

اليك أرجع ، يا سعاد ، بعد عامين من أعوام الصدود ، وبعد أعوام من الاهوال . .

كان تجافينا محنة قاسية ، يا سعاد ، وكانت أيامي بعد التجافي أيام بؤس . .

ألم تعلمي بما وقع للمحب المسكين في مستشفى الملك ؟

لقد فسد ما بينى وبين رؤسائي اقبح فساد ، وتطلعت نفسي الى الاستاذية بكلية الطب في جامعة الاسكندرية ، ثم وقفت العوائق دون ما تسامت اليه نفسي ، لأني فيما يقال لا أصلح لأمثال هذه الشئون !

والحق أني أصلح لأعاظم الواجبات ، ولكن تصدني قلة الحيلة في التقرب الى من يملكون زمام الأمور في وزارة المعارف . وقد علموا أني افتضحت بهوى الغادة التي تقيم بشارع الحمراء في أسيوط . . وكان في نيتي أن أتخذ من هواك سناداً لحياتي . كان في نيتي أن أنقلك الى القاهرة لنعيش عروسين في مصر الجديدة ، أو حدائق القبة ، أو الزيتون ، ولكني خشيت ألا تملكي من القناعة ما أملك ، فأنا طبيب فقير ، وان تظاهرت بالغنى والثراء ، والفتاة التي ترضى بالقليل لم تخلق بعد . لأن عمار القلوب لا ينسجم مع خراب الجيوب . .

في قلبي ثروة عظيمة من العطف ، وفي عزيمتي ثروة هائلة من

Twitter: @ketab_n

الرجولة ، وفي روحي كنوز من المعاني ، فالى من أقدم هذه الثروات المعنوية يا سعاد ؟

أمن الحق ان كنوز المعاني ليست عند أهل مصر الا سرابا يخدع الظمآن ؟

أن صح ذلك فما الذي يقهرني على التعلق بهواك ، وهو لم يكن الا سرابا في سراب ؟ . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة السادسة عشرة

محبوبتي الغالية . .

نسيت أن أتحدث عن رسائلك الاولى بعد الصدود الذي دام عامين . .

تقولين أنك افتقدتني ولم تجديني يوم عيد الميلاد ، ميلاد سعاد ؟

وتقولين انك ولدت مع الربيع . .

أنت يا سعاد ولدت مع الربيع ؟

آمنت بالله ، لقد كنت أظن أنك ولدت في الليلة التي تفصل بين الخريف والشتاء !

وما الذي فيك من شمائل الربيع ؟

وفي الربيع أزهار ورياحين ، وفي الربيع أغان وألحان ، وفي الربيع تعطف القلوب على القلوب ، فهل يجد قلبي في هذه الايام نفحة روحانية ليصدق انك ولدت مع الربيع ؟

أنت ولدت مع الربيع يا سعاد ؟

ومتى ولدت ثلوج الشمال ، ان صح ما تدعين ؟ الربيع لا يعرف البلادة والغباوة والحمق ، وأنت بليدة وغبية وحمقاء . .

فيك من الربيع معنى واحد : هو قوامك الفينان فهل أنت كما عهدت ، يوم التقينا بنادي القلم سنة ١٩٣٥ ؟

وهل استطيع أن أكابر بك الدنيا حين أراك ثانية بالقاهرة ؟

Twitter: @ketab_n

وهـل أستطيـع أن أنظم الشعـر ولو مـرة في التسبيح بقـوامـك الفينان ؟

أنا طبيب جاهل ، والطبيب الجـاهل يـدرس الاجسام قبـل أن يدرس الأرواح . .

لـو كنت شاعـراً لأهديت الى جسمـك الفاني نفثـة من نفثـات الخلود . .

اعذريني ، فأنا طبيب جاهـل ، والحمدلله والحب على نعمـة الجهل . .

مصر الجديدة بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة السابعة عشرة

محبوبتي الغالية . .

هـل تذكـرين أني تحدثت في الـرسالـة الماضيـة عن قوامـك الفينان ؟

لقد نسيت أن أقول أن لـك مع ذلـك شطحـات روحانيـة تشبه شطحات افروديت ؟

ومن هي افروديت ؟

أنت أجهل من أن أتحدث اليك عن هذه الدقائق الذوقية . .

مصر الجديدة **بديع الزمان**

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثامنة عشرة

محبوبتي الغالية . .

عليك وعلى جميع بنات حواء غضبة الحب !

كنت ليلة الأمس في سهرة التي أقامها نادي . . . وكانت سهرة راقصة حضرها نحو عشرين من بنات حواء ، وكان فيهن فتاة تشبه سعاد ، وكانت تجلس على ناحية مع أمها الحيزبون ، فتقدمت اليها وقلت :

بونسوار سعاد !

وهجمت على يدها فقبلتها بشوق وعنف . . ثم علمت بعد لحظة أن اسمها سعاد ، وأمسينا رفيقين ، ولم أتركها الا بعد أن وصلت لبيتها بسلام . . فما رأيك في هذا الحب الجديد ؟

أتغارين ؟ أشربي ما شئت من عباب النيل عند خزان أسيوط !

أنت تغارين ، يا سعاد ؟

أن الغيرة لها معد لا تعرفها الثلوج . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة التاسعة عشرة

محبوبتي الغالية . .

أنا اليوم على صلات وثيقة بسعاد الجديدة ، فماذا ترين ؟

ولـد الحب في لحظة واحـدة . . كمـا ولـدت افـروديت على شاطىء المحيط . .

وسعاد الجديدة لها مزايا كمزاياك . .

فماذا ترين ؟

حدثيني ماذا ترين ؟ فأنا أشتهي أن أعيش !

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة العشرون

محبوبتي . .

أنا اليوم سعيد بفضل الحب المزيف ، فكيف أكون لـو ظفرت بالحب الصحيح ؟

كل هوى دون هواك ضلال في ضلال ، وخداع في خداع . .

سأظل في هواى الى أن ترحميني من هواى . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الواحدة والعشرون

سعاد . .

أنت ولدت مع الربيع ؟

ربما كان ذلك ، فقد ولد غرامي الجديد في الربيع ومع الربيع ولدت آلامى وأحزاني ، ومع الربيع الجديد ودعت هواى القديم . .

ويا ويح من يستشفي من الغرام القديم بغرام جديد .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثانية والعشرون

سعاد . .

قضيت الليلة في حزن موجع ، ولم يخرجني من بلواى الا انشاد قول العباس بن الاحنف :

ما أراني الا سأهجر من ... ليس يراني أقوى على الهجران
علني واثق بحسن اخاء ... ما أضر الاخاء بالانسان

فأنت تهجرينني ظالمة . لأنك تثقين بأني مملوك خاضع مطيع يرجع اليك باشارة حين تشائين . .

وأنا والله مملوك خاضع مطيع ، فما تمثلت قوامك الفينان الا ضاع رشدى وطار صوابي . .

ليتني أعرف كيف ابتليت بهذه اللوثة الارضية !

ليتني أعرف كيف عجزت عن رفع روحى الى الآفاق السماوية !

خلقت لنفسي محبوبة جديدة لأسلم من هواك ، ولكني لم أفلح ، فحدثيني ماذا أصنع ؟

حدثيني ماذا أصنع ؟ حدثيني . .

بديع الزمان ... مصر الجديدة

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثالثة والعشرون

سعاد . .

ابتسمت وأنا أطالع خطابك الذي وصل في صباح اليوم ، ابتسمت لأنك تقولين ان في رسائلي وثبات وجدانية تنقلني الى صفوف العباقرة من أهل البيان . .

والحق اني أصبحت أثق بقدرتي على التعبير الجميل ، ولكني لا اعرف كيف أثق بقدرتي الى هذه المقدرة البيانية ، فقد كنت من المتخلفين في الانشاء يوم كنت تلميذاً بالسعيدية ، على أيامها وعلى الجيزة أطيب التحيات !

والدراسة في كلية الطب كانت بالانجليزية ، ولم يكن هناك ما يساعد على التفوق في اللغة العربية ، فما الذي أوصل الى عقلي هذه الاقباس من ضياء الادب والبيان ؟ لذلك أسباب يا محبوبتي الغالية أفصلها بعض التفصيل في هذا الخطاب . .

كان نظام الجامعة المصرية في سنة ١٩٢٥ ، يوجب على طلبة الطب أن يقضوا سنة في كلية العلوم وكانت ـ بقصر الزعفران ـ كانت كلية الآداب في ذلك العهد تقيم في قصر الزعفران ، وفي ربيع سنة ١٩٢٦ ، قامت معركة حول آراء الدكتور طه حسين في الشعر الجاهلي ، وكانت جريدة « البلاغ » وجريدة « كوكب الشرق » توجهان اليه أعنف الهجوم وأشنع التجريح ، فكانت تلك المعارك فرصة تنبه فيها طلبة كلية العلوم الى ما يقع في كلية الآداب ، وكنت أتسلل من وقت الى وقت لسماع محاضرات طه حسين ، فصح عندي ان الادب

Twitter: @ketab_n

قد يخلق لصاحبه مكانة في المجتمع ، وان كانت نسبته الى العلم أضعف من أن توضع في الميزان ، فالعلم في جملته حقائق ، والادب في جملته أباطيل ، الا أن كان على نحو ما أكتب اليك يا سعاد ، وانما احترست هذا الاحتراس لئلا يضاف أدبي الى التزييف ، وهو من فيض القلب والوجدان . .

وكنت أظن ان انتقالي من قصر الزعفران الى قصر العيني سيقطع صلتي بالحياة الادبية ، وشاء حسن الحظ أن أكون عضوا بالحياة الادبية ، وشاء حسن الحظ أن أكون عضوا في أتحاد الجامعة المصرية ، وانما كان ذلك من حسن الحظ لأن مندوبي كلية الآداب كانوا يغرونني بالحرص على فصاحة القلم واللسان ، فقد كان يوكل اليهم تحرير محاضر الجلسات ، وكانوا أسبق منا الى الخوض في المناوشات الكلامية . .

الادب سخيف يا سعاد ، ولكنه مع ذلك شائق وجذاب « بالجيم لا بالكاف » وقد تفوقت كلية الآداب على سائر الكليات بفضل الثرثرة وتزويق الكلام ، وزخرفة المعاني ، والمعاني تزخرف كما تزخرف الالفاظ ، وهذه الفكرة من مبتكرات الطبيب الولهان . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الرابعة والعشرون

سعاد . .

هل استطيع أن أبثك اليوم بعض ما أعاني ؟

كنت حدثتك اني تعلقت بهوى فتاة اسمها سعاد ، وكنت أتوهم اني أتداوى من الحب بالحب ، كما يتداوى شارب الخمر بالخمر ، وهو علاج شرعه مجنون ليلى ، رحمه الله ، ورحم ليلاه !

فما الذي جنيت من سعاد الجديدة ؟

لم أجن غير مرارة الخيبة وظلمات اليأس . .

فماذا أقول ؟

أن قلبي يتمزق كلما تصورت ما صرت اليه بعد ليال قضيتها في صحبة تلك الجميلة الرعناء . .

جميلة ؟ جميلة ؟

نعم ، جميلة ، جميلة ، جميلة !

ولكن أي جمال ؟ هو جمال الصور والتماثيل ، لا جمال الارواح والقلوب . .

تقيم هذه الرعناء في « . . . . . » بمنزل رقيق الحواشي ، فله حديقة غناء ، تزدان بمجموعات نفيسة من غرائب الازهار والرياحين . .

وفيها أبراج لأنواع من الطيور الصادحات ، وفي أبهاء المنزل أطايب من روائح الفنون ، وفيه مكتبة عامرة بنوادر المؤلفات الفرنسية والعربية ، وفيه مقصف تأوى اليه أحاسيس القلوب حين تشاء . .

Twitter: @ketab_n

ولكن . . ولكن . . ماذا أريد أن أقول ؟

أن هذه الرعناء تملك من أسباب النضرة والنعيم ما ينقل العاشق الى رحاب الفراديس . .

ولكن . . ولكن . . ماذا أريد أن أقول ؟

أقول أن هذه الجميلة الفتانة الخلابة مريضة بداء عضال هو الغرام بالنكتة المصرية . .

والنكتة يا محبوبتي من أطيب فنون الحديث ، ولكن النكتة المصرية بالذات تحتاج الى ذكاء ، وهذه الفتاة محرومة من الذكاء الذي يمكنها من عرض النكتة المصرية عرضا يخلب الاذواق . .

أتدرين لماذا تحرص هذه الرعناء على النكتة المصرية ؟ انما تحرص على النكتة لأنها سمعت ان أم كلثوم تجيد التنكيت !

وأم كلثوم أميرة الطرب ، بلا جدال ، وأظنها تعرف كما أعرف أن النكتة من خصائص الروح المصري ، ولكن يجب حمايتها من الابتذال ، ولا سيما حين تجرى على ألسنة الملاح . .

أصبحت أبغض سعاد الجديدة أقبح البغض ، فحولها صواحب رقيعات يتقربن الى قلبها الاجوف بالتنكيت الاحمق المرذول . .

ليتك تعرفين كيف خاب أملي في هذه الحسناء يا سعاد ! لهذه المخلوقة لحظات من الرفق والايناس ، ولها أحيانا شمائل من عذوبة الروح ، ولكنها كالمجنون الذي يثور جنونه من وقت الى وقت فينتقل من العقل الى الخيال بلا استئذان . .

وأنا يا محبوبتي أحتمل كل شيء الا الخروج على قواعد الذوق ، لأن الله صاغ قلبي صياغة دقيقة جداً ، وأخشى أن يكون

Twitter: @ketab_n

لذلك تأثير في مستقبل حياتي ، فقد أصبحت أعامل المرضى بأساليب مختلفات وفقاً لما يملكون من عناصر الذوق ، ولولا بقيـة من العقل لقتلت كل من اصادف من المرضى الذين يتقـربون الى الحـذلقة في اختراع النكت والمطايبات . .

وما خلق الله أسخف ممن يتظرفون وهم ثقلاء . .

أفتينى ، يا سعاد ، أفتنى ، فأنا أحب أن يكون اليك الفصل في هذه القضية . .

أترين أن أهجر هذه الرعناء ؟

فقد تحملك الغيرة على دعوتي الى هجر تلك الرعناء ، ولكن ذلك مستحيل ما دمت بعيدة عنى ، فأنا بصراحة لا أستطيع الحياة بلا حب ، وكيف أحيا بلا حب وبين ضلوعي ذلك القلب الذي تعرفين ؟

هل ترين أن أحتمل سخف تلك الفتاة في التنكيت ؟ حـدثيني ماذا ترين ؟ أترين أن أحتمل سخف تلك الفتاة وأقول : « حفت الجنة بالمكاره ؟ »

أنـا مجذوب الى هـذه الفتاة بجـواذب من الكهربـاء ، ولكنهـا سخيفة . . فحدثيني ماذا أصنع ؟

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الخامسة والعشرون

لم يصل جوابك يا سعاد ، فما الذي وقع ؟

أنـا أعرف ذنبي ؟ أعـرف أني كنت مثال النـزق والـطيش حين حدثتك عن سرائر قلبي ، والمجنون المخبول هو الذي يخاطب النساء بأساليب لا خداع فيها ولا رياء .

أنا أستاهل التأديب يـا سعاد ، فقـد أردت أن أرفع عن الحيـاة أوزار التلفيق والتزوير والتضليل ، وكان جـزائي أن أشرب العلقم من أيدي من عاملتهم بالصراحة والطهارة والاخلاص . .

لقد عاملت الـرجال بـالصراحـة فخيبوا أملي ، فكيف جـاز أن أصارح النساء بعد التجارب التي أكتوت بها يداي؟

كان يجب أن أكذب عليك ليبقي مكاني في قلبك الصغير !

كـان يجب أن أقول أن الشمس لم تـطلع على وجه أنضـر من وجهك ، وأن القمر لم يصافح جبينا أكرم من جبينك ، وأن القاهرة لم تعرف من المحاسن بعض ما عرفت أسيوط !

كان يجب أن أقول أني لم أتذوق كأس الحب الا منذ اكتشفت الاطايب في قوامك الفينان . .

كان يجب أن أموت مقتولا بالعشق لأظفر منك بنظرة عطف يـا سفيهة . .

أنت امرأة ؟ أنت امرأة يا سعاد ؟

Twitter: @ketab_n

أنت كتلة من الصخر الاسود الاصم الذي لا يبتسم لأنداء الصباح . .

باسم الحب المزور المكذوب يصل الى قلبك من يشاء . .

وباسم الحب الصادق الصحيح أشرب من يديك كأس الموت . . غضبة الله عليك وعلى جميع بنات حواء !

قلبي . . لطف الله بك وهداك . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة السادسة والعشرون

سعاد . .

أؤكد لك انني غير غضبان من سكوتك الاثيم . .

وكيف أغضب وأنا أعرف أن الحب لعب في لعب وخداع في خداع ؟

لا يؤذيني الا شيء واحد : هو الشعور بذهاب الصدق من هذا الوجود . .

ومعنى ذلك أن أفهم مقهوراً أن النوازع الوجدانية لم تكن الا أضاليل وأحابيل . .

معنى ذلك يا شقية ان أحول أدبي وذكائي الى وجوه جديدة من الختل والمكر والخداع . .

معنى ذلك أني أصير مخلوقا حيوانيا لا يعرف غير الفتك والافتراس . .

وسأتأدب بالادب الذي تلقيته على يديك الكريمتين فأفعل بأسراب الظباء ما يفعل الذئب الجائع بقطعان النعاج ؟

أنا بعد اليوم مخلوق لا قلب له ولا ضمير ولا وجدان سأكون أحمق الناس إن عرفت حسن الادب بعد الذي عانيت من غدر الملاح . .

بديع الزمان

مصر الجديدة

Twitter: @ketab_n

الرسالة السابعة والعشرون

سعاد . .

أنا في هذه الايام شديد الحقد على الدنيا والناس كل شيء في الوجود يثير غضبي ، ويهيج حقدي . .

ويؤذيني أن أعيش في القـاهـرة عيش المحـرومين من نعيم الحب . .

وقد تعبت قدماى بالامس وأنا أطوف بأندية القاهرة عساني أجد ما يؤنس روحي ، ثم رجعت الى البيت أجر أذيال الخيبة واليأس . . وكيف يكون ذلك وقد خلت دنياى من أسباب البهجة والانشراح ؟

قضيت أمس لحظات في مشرب الامريكين مع ناس لا يعرفون غير نهش الاعراض وأكل لحوم الغائبين ، وكان فيهم شاب تافه الحديث فقير الروح ، فأخذ يتقرب الى باغتياب بعض من أعادى ، فسمج في عينى منظره ، وضاق بحضوره صدرى ، ولم أستطع النجاة من سماجته الا بالانصراف . .

وهذا صنف من الناس له بالقاهرة سوق ، فهل يوجد عندكم مثله في أسيوط ؟

هذا الصنف خبير كل الخبرة بنفوس الضعفاء ، وهو يتعقب أخبار المشهورين من الرجال فيعرف ما يحيط بهم من أحقاد وعداوات ، ثم يعيش في أكنافهم بفضل ما يحسن من اختراع الاقاصيص لتحقير من يعادون . .

وأفراد هذا الصنف هم في الاغلب من أنصاف المتعلمين ،

Twitter: @ketab_n

ولكن خبرتهم بأهـواء من يتصلون بهم تجعلهم في الصف الاول من علماء الغرائز والطبـاع ، أما مهـارتهم في اختراع الاراجيف فتضعهم في طبقـة القصاصين الكبـار، ولو استـطاع أديب أن يدون مـا يسمع من تلفيقاتهم لخلق منها صوراً شائقة يسجد لها الخيال!

وقد عرفت من هؤلاء شـاباً رقيق الحـواشي ، عذب اللسـان ، جميـل الهندام ، مـأنوس المحضـر ، مقتول النـظرات ، يمشى الى السامرين مشى الثعبان الاهتم فوق الرمال ، فاذا آنسوا به وسكنوا اليه نفث سمومه من فم ادرد ملعون ، ومزق مـا بينهم وبين العظمـاء من صلات ، ثم انصرف خفيف الرأس ثقيل الجيب . .

وقد وثقت بهذا المخلوق مرة واحدة ، وكان فيها الكفاية لافساد ما بينى وبين زملائي . .

فان سمعت يا سعاد اننى لقيت شراً فسيكون وزر هذا الشر على ذلك المخلوق الرقيع . .

قد تقولين اني أخطات ، ولكن أين الاذن التي تقاوم ما تسمع ؟

وأين العقل الذي يحمي صاحبه في كل وقت ؟

نحن جميعاً عرضة للانخداع ، فمتى أخدعك باسم الحب يـا غادة أسيوط . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثامنة والعشرون

سعاد . .

أخبرك ، وأنا آسف ، اني صرت أثقل الناس عند رواد الامريكيين ، لأنهم عرفوا اني أبغض مضغ الاحاديث في اغتياب الرفاق . .

وقد آن أن أعترف بأن هذا الخلق ضيعني أقبح تضييع ، فهل ترين أن أرتاب في أصول الاخلاق ؟

ان الدكتور « . . . » محبوب من الجميع ، وهو مع ذلك سليط اللسان ، فهل تكون البذاءة مما ينفع في التقرب الى المجتمع ؟ وهل ترين من الخير أن أفتح أذنى لسماع الزور والبهتان ، وأنا أروض لسانى على نهش الاعراض ؟

أحب أن أعرف رأيك في هذه القضية ، لأن نفرتي من التعرض لعيوب الناس هي التي جعلتني موضع السخرية عند من يملكون مصاير الأمور في بعض الجهات ، وأنا شديد الرغبة في الظفر بثقة هؤلاء . .

حدثيني ماذا أصنع يا سعاد ؟

وأرجو أن يصل الجواب برجوع البريد . .

مصر الجديدة **بديع الزمان**

Twitter: @ketab_n

الرسالة التاسعة والعشرون

عـرفت شيئا من طبـاعك يـا لئيمـة ، فـأنت تحبين أن تكـوني فيلسـوفة على حسـابي ، ومن أجـل هـذا أطلت الكـلام في تفصيـل الرذائل والفضائل ، وبيان المقبول والمردود من أخلاق الناس . .

كـان خطابـك الاخير تحفـه من الوجهـة الخلقية ، ولكنـه كان خفيف الوزن من الوجهة الروحية ، والفتاة التي تحدث محبوبهـا عن الاخلاق وتسكت عن الحب . . هي فتاة زودها المجتمع بـزاد نافـع من الرياء . .

أنا في هذه اللحظات . . أحيا حياة شقية سوداء ، لأن روحى يعيش بلا رفيق ولا أنيس ، وقد تعبت يـدي من العبث الذي يجـريه المشرط في كل صباح ، وهل يرضيني أن يسعد الناس بيدى وأشقى بنفسى ؟

كانت يدي بالامس بلسما شافيا لرجل برح به الداء ، وقد تأوه آهـة الارتيـاح ، وجـرت على لسـانـه دعـوات تمثـل فيهـا العــطف والشكران ، وأنا داويت ، روحك مرات ومرات ، يا سعاد ، ولم أظفر منك بكلمة ثناء . .

فهل تدرين ما الذي وقع بعد أن خرجت من حجرة العمليات ؟

سارعت الى معطفي أفتش فيه عن بريد أسيوط فوجدت رسائلك كلها خالية من الروح . . ألا تذكريني يا سعاد ؟

ألا تذكرين أنني استجـديت منك كلمـة واحدة . . فلم ينفـع الاستجداء ؟

Twitter: @ketab_n

استجديتك كلمة « حبيبي » فلم تجودي بها يا بخيلة ، وظلت خطاباتك كلها مفتتحة بهذا التعبير المملول . . « حضرة الطبيب النطاسى . . . »

نطاسى ؟ هي كلمة تقولينها كما يقولها سائر الناس ، وهي كلمة عديمة المعنى والمدلول . .

أنا حزين ، يا سعاد ، والحزن مرض لا يدرس في كلية الطب ، وليس له أطباء فيما علمت . .

فأين الوجه الذي أغرق في سناه همومي وأحزاني ؟
أين الروح الذي يعدي روحي بالجذل والفرح والابتهاج ؟

أين ؟ أين ؟ فقد طال بالحزن بلائي !
الى أين أذهب بهمومي يا سعاد ؟
وفي أي بيداء أعتصم بالحيرة والضلال ؟

لو كنت من الشعراء لقتلت حزني بالغناء ، ولو كنت من الصوفية لدفنت حزني في تربة الوجد ، مع الصابرين المصابرين في عيش الخلاص ، ولكني ـ وا أسفاه ـ أنا شاب مفتون بمخلوقة صنع جسمها من النور ، وصنع روحها من الظلام . .

فأين المفر من أحزاني ؟ وبمن أستنجد ؟
والى من أتوجه ؟

والى أين أصير وفوق صدرى شجون لا تحملها الجبال ؟ لم يبق الا أمل واحد يا سعاد . . هو الحب والموت . . اما الموت فهو مطلب سهل المنال ، لأني أتوقع في كل يوم أني أستشهد في سبيل الواجب . . وأما الحب فهو الغاية التي لا أصل اليها الا بعد أن أحترق في سعير الوجود . .

Twitter: @ketab_n

وأنا سائر في طريق الوصول الى تلك الغاية المشبوبة بأرواح الرجال ، فاطمئني على محبوبك الغالي ، يا سعاد ، فلن أموت قبل أن أشرب تلك الكأس . .

ألمثلي يخلق الأمل الكاذب في هوى مخلوقة سخيفة لا تميز بين الزائف والصحيح من جواهر القلوب ؟

أيموت مثلي وجدا بانسانة جادت عليها المقادير بما لا تستحق حين وهبتها عينين نجلاوين ، وحين أضفت على جسمها الفينان تهاويل السحر والفتون ؟

سنلتقي باذن الهوى ، يا سعاد ، وسترين كيف يكون العتاب . .

أنا أشعر بأني فوق قمة تشرف على هاوية الحب . .
فمتى أتردى في تلك الهاوية ؟
ومتى أحترق في كوثر الوصال ؟

أنا حزين ، يا سعاد ، حزين على الشباب المضيع في هواك ، حزين على الوقت المضيع في تدبيج هذه الرسائل الطوال ، حزين على العمر الذي أنفق منه بلا حساب في الغريد فوق أفنان الجمال . .

أستجديك للمرة الاولى بعد الالف كلمة « حبيبي » فخطيها مرة واحدة لأعرف اني أخاطب انسانة ولدت مع الربيع ، ولم تولد مع « ثلوج الشمال » وتذكري الحكمة التى تقول : « الرحمة فوق العدل » . . .

بديع الزمان

مصر الجديدة

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثلاثون

سعاد . .

أرجوك باسم الهوى أن تكفي عن العتاب ، فما سكوتي عن نجواك بالرسائل الا محنة من محن الصبابة والوجد ، والقلم قد ينحبس عن الانشاء كما تنحبس العيون عن المدامع . .

والحق أني نادم على ما صنعت مع نفسي ، فلو كنت سجلت كل ما جال في الخاطر من صور وأطياف لأصبحت بفضل الهوى من أعلام البيان . .

أين أيامي ؟ أين ؟

أين أيامي وأنا أقضى جميع الاوقات في دراسة عواطفي وشجوني ؟

أين ؟ أين ؟

ان البحر ليعجز عن اطفاء ما يتسعر في صدرى من حريق بسبب اللوعة التي أعاني جحيمها في الصباح والمساء . . كل ما في الدنيا خداع في خداع الا هيامي بوجهك الاصبح وطرفك الكحيل . .

وكأن الله لطف فخمدت تلك الجذوة في بعض أيام الصيف ثم تسعرت في هذه الايام . . فهل تعرفين كيف عاودني جنوني ؟

اسمعي ، يا سعاد . .

في ليلة من ليالي الاسبوع الماضى أطفئت الانوار في القاهرة وضواحيها لتجربة الغارات الجوية ، فأمست مصر الجديدة ظلاما في ظلام ، وشاء شيطان النزق والطيش أن أخرج الى الصحراء لأرى كيف

Twitter: @ketab_n

يكون جمالها في الظلمات . . ما أروع تلك الليلة ، يا سعاد ، ففيها تذكرت ليالي الطفولة والحداثة في اشمون ، حين كنت أسير مع اهلي في حراسة المحصول ، أو ادارة السواقي ، وحين كنت أخاطب النجوم وتخاطبني ، وحين كنت طفلا كثير الاحلام لا ينتظر ان تريه الايام أهوال الهجر والصدود . .

وقضيت في صحراء مصر الجديدة أخاطب النجوم من جديد ، فراعني أن أرى نجوم السماء كعهدى بها منذ أكثر من عشرين عاما . .

أنا وحدى الذي تغيرت ، يا سعاد ، أما نجوم السماء فبقيت على العهد ، وهى لا تزال تداعب أخيلة الاطفال والاحداث !

أنا وحدى الذي تغيرت ، يا سعاد !

كنت في أيام الطفولة والحداثة أصدق كل شيء ، فأرى كل شيء . .

كان الناس في بلدنا يعتقدون رؤية صور الأولياء يوم العيد في مقام سيدى مدين ، فدخلت مرة ذلك المقام في صباح يوم عيد وهتفت : « يا سيدة زينب » فظهرت صورة السيدة زينب وهي ملثمة فوق ظهر جواد ، فخفق قلبي أشد الخفوق ، وكاد يثب لتقبيل ذلك الشبح المحبوب ، وهل كنت أظنه شبحا يومذاك ؟

كانت هي نفسها السيدة زينب يتخطر بها الجواد في خفر ودلال . .

ثم تغيرت ، يا سعاد ، فصرت أعتقد أن الاموات لا يسمعون أصوات الاحياء ، وبذلك صار من المستحيل أن أرى في مقام سيدى مدين أية صورة من صور الأولياء . .

وقفت في ظلمات الصحراء أتأمل كيف كنت وكيف صرت . .

Twitter: @ketab_n

كنت من البسامين ، فصرت من البكائين . .
كنت أملك بالأمان كل شيء ، فقدت باليأس كل شيء . .

ولو كان لي بخت لصار هواى من هواك يا سعاد فقضينا العمر معاً في أشمون . . أو أسيوط . .

وقفت أفكر وأنا محزون القلب ، مفطور الفؤاد فكرت في شبابي ، الشباب الذي لفحه هجير الفراق ، فصوحت أزهاره الضواحك . .

فكرت في آمالي ، الآمال التي صرعها اليأس فأمست وهي أطلال هوامد . .

فكرت في تلاقينا أول مرة بمصر الجديدة في سنة ١٩٣٢ . . أتذكرين ، يا سعاد ؟

أتذكرين كيفا أسرينا الى سماء السعادة في لحظة واحدة برعاية الوجد المشبوب ؟

ليت الدنيا دامت ، كما عهدنا ، وليت بياض الحظ لم يتحول الى سواد ! !

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الواحدة والثلاثون

سعاد . .

لم أستطع أن أقول في الرسالة الماضية كل شيء ، وهل أستطيع أن أحدثك عن قلبي بكل شيء ؟

ان ظلام الصحراء جدد أحزاني وأشجاني ، فقد تدامغت جيوش الوجد من كل جانب ، وتخيلت ان الغارة الجوية لن تسقط الا فوق رأسي ، وهل يملك الاعداء من ايذائنا بعض ما تملك قلوبنا الخوافق ؟ وأين جيوش الاعداء من جيوش العواطف ؟

اننا نقدر على مصارعة أعدائنا بلا تخوف ولا تهيب ، ولكن متى قدرنا على مصارعة ما في صدورنا من عواطف ؟

ان العدو الخطر ، العدو المزعج المخيف ، هو القلب . . فكيف السلامة من أهواء القلوب ؟

ان لي زملاء يقضون الليل والنهار في حياكة الدسائس ، ولم ينالوا منى أي منال ، ولكن قلبي على قربه منى ليؤذيني أبلغ ايذاء ، وسيفتح أمامي باب القبر بعد قليل ، فهل تترحمين علي ، يا سعاد ، يوم أموت ؟

ان قضى الله أن يحرم قبري من دمعة غالية تسكبينها عليه . . فسأشقي بعد موتي بالغليل ، كما شقيت في حياتي بالغليل ، أنا العاشق الصادق ، الذي رأى الحب من أكرم شرائع الوجود . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثانية والثلاثون

سعاد . .

هـل قرأت الجـرائد اليـومية . . ورأيت مصيـر مخزن الافـلام للموسيقار محمد عبد الوهاب ؟

لقد سئل عبد الوهاب عن سبب الحريق . . فقال : انه بفعـل فاعل . . ولم يتهم أحداً . .

وكان في نيتي أن أبلغ الشرطة عن سبب الحريق . . ثم سكت رغبة في السلامة من القيل والقال ، فهل أستطيع أن أبلغك أنت ؟

أنا يا محبوبتي السبب في ذلك الحريق ، فقد زرت عبد الوهاب في مكتبه وتركت هناك زفرة من زفرات قلبي . . فكان الحريق الذي تحدثت به الجرائد ؟

فهـل ترين أني مسئـول ، أم تكون المسئـولية على من أشعلوا النار في فؤادي ؟

متى أراك ، يا سعاد ، ولو أمام القضـاء ، متى ؟ متى ؟ سأبلغ الامر الى النيابة ، لأجد الفـرصة لـدفع ظلمـات الأحزان بـالنظر الى جبينك الوضاء . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثالثة والثلاثون

سعاد . .

ان محبوبك الغالي يقتل نفسه بلا ترفق . . لم يعد محبوبك الغالي الا قيثارة رنانة تصدع بألحان الألم والحنين . .

أنا اليوم جذوة تتوقد فتحرق ما حولها من صور الآمال والأماني . . فهل ترين ذلك من أدلة العافية ؟ أم ترينه مرضا من أمراض الروح ؟

ان الوجود يظهر لي في كل يوم بألوان مختلفات من صور البؤس والنعيم . .

فأين أنا مما أريد ؟ أين . . أين ؟

لقد أصبحت من عباد النار ، وأخشى أن أحترق ، لأن النار على جمالها حمقاء . . لا تفرق بين العاصين والطائعين . .

أنا اليوم قوة كهربائية تصنع ما تصنع بلا ترفق ولا استبقاء ، فان أهلكتك بأنفاسي الحرار ، يا سعاد ، وصيرتك قبسا حائراً بين اقباس الوجود ، فلا تعتبي ولا تلومي ، فأنت أهل لكل بلاء بفضل ما تملكين من غطرسة وكبرياء . .

سعاد . .

ماذا تريدين منى ؟

ان محبوبك الغالي لم يتغير ولم يتبدل ، وان غضه ناب الزمان . .

Twitter: @ketab_n

فتعالي الي ، يا محبوبتي الغالية ، تعالي . . علني استصبح بجبينك المشرق فأستطيع تبديد ما في الوجود من ظلمات تكرب صدرى وتبدد ما أنتظر من سلام وأمان . .

الي ، الي ، يا أكرم ذخيرة اعددتها لأيام البؤس والشقاء . .

الي ، الي ، فاني فقير الى نظرة طرفك الأحور ، وبسمة من ثغرك الوضاح . .

الي ، الي ، قبل أن يجف عودى وأستريح في مقابر المطرية . . أو مقابر أشمون . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الرابعة والثلاثون

سعاد . .

ما أعتقد ان الله خلق روح ألأم من روحك ، أو قلبا أظلم من قلبك ، وما يخطر في البال ان الدنيا شهدت انسانية غافلة قبل أن يعرف أديم الارض أقدامك الخفيفة التي تشبه أقدام الظبي الرعديد . .

أنت يا سعاد غبية بليدة ، وأنا أبغض الاغبياء البلداء . . فما الذي يجذبني اليك . . وقد رأيتك مثلاً في بلادة الطبع وخمود الروح . .

ما الذي يجذبني اليك . . وأنت الشاهد الحي على سخافة بنات حواء ؟

تقولين في خطابك الاخير انك أصدق منى ، وشاء لك سوء الادب والفهم أن تقولي ان قلبي مبدد بين معشوقاتي ، وان وجدك على هدوئه أصح من وجدي لأن الجانب الذي خصصتني به من قلبك أكبر من الجانب الذي وقفته عليك من قلبي . .

فهل تذكرين يا غبية اني دعوتك لانقاذي من نار الصبابة والوجد ؟

هل تذكرين يا بليدة انني أنذرتك بالمصير المحتوم يوم أعرف أنك ميتة الوجدان ؟

واحر قلباه ! . . واحر قلباه !

Twitter: @ketab_n

سبع سنين قضيتها وأنا مغمور الفؤاد بهواك الموهوم في صباحي ومسائي . .

فما الذي غنمت من جهاد تلك السنين الطوال ؟
غنمت الحسرة . . والألم . . والبكاء . .

ولو كان هواى موجها الى صخرة لذابت من نار الوجد أو ماء الدموع . .

فمن أنت بين الحجارة السود . . يا ألأم مخلوق بين ذرية آدم وحواء ؟

ان الله لطيف بي في جميع أدوار حياتي ، فهل أرجو ان يرحمني من هواك المظلوم . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الخامسة والثلاثون

سعاد . .

ماذا تريد بنا الايام ؟ ماذا تريد ؟

لا ينقضى يوم . . الا وأنا أشعر بأن هـوانا معـرض للخمود ، فقد جدت لي شواغل جديدة في دنياي ، ومن المنتظر أن يكـون لي مكان بين أطباء الجيش أن تعرضت مصر لخطر الحرب . . واذا وقع ذلك فسأنسى هواى وألتفت الى التوجـع لمصايـر الانسانيـة . . وقد أنضم الى صفوف الجنود ، ولكن هل أنسى ما بيننـا اذا كتب الله أن يقع شيء من ذلك ؟

اننى لمؤمن يـا شقية بـأني سأرى وجهـك في كـل مكـان . . وسـألقاك حيثمـا توجهت ، ولـو ثار من حـولى لهب الحـرب وسعيـر القتال . .

وفي الحق يا سعاد ان المرء ينسى شجونه الدائبة حين يصارع أهوال المجتمع ؟

أفي الحق أن الجنـود المرابـطين في الجبهـة الغـربيـة ينسـون الشجون التي خلفوها في ديارهم يوم السفر الى الميدان . . قد يكون ذلـك ، وقد يكـون من الحق ان العواطف الـوطنية تـطغي في بعض الاحيان فتغرق العواطف الذاتية . . وهنا أشعر يا سعاد بحقد منضرم على من يثيرون الحروب . . ويحرمون الانسانية من التمتع بنوازعها الاصلية وهي تشرب كأس الحب أو تسكن الى نعيم البيت . .

فالعواطف التي تخمد بانتقال الرجل من دار الامان الى ميـدان

Twitter: @ketab_n

الحرب . . هي من الذخائر النفسية التي نفتقدها طائعين أو كارهين . . والآمال التي يبددها الانتقال من حال الى حال . . كانت من الحوافز التي تدفعنا الى اغتنام ما في الوجود من منافع وطيبات . .

ولكن ما الذي يخيفني من الحرب ؟

وهل عرفت السلام في دنياي . . حتى أفزع من الحرب ؟

نعم ، عرفت السلام ، يا سعاد . . عرفته يوم كنت تفرحين بلقائي . . فمتى تفرحين بلقائي مرة ثانية ؟ متى أرى تلك العيون وهي نواطق بالانس والارتياح ؟

وهل في الدنيا سعادة أعظم من سعادة المحب حين يقرأ في عيون محبوبته معاني الفرح والابتهاج ؟ لم نكن نتعانق ، يا سعاد ، عند التلاقي ، ولكني كنت أشعر ان روحي يضم روحك ضمة قوية ، وكنت أحس ان توهج عينيك ليس الا اثراً لاشتباك الروح بالروح . .

أنا أعرف ذنوبي ، يا سعاد ، وأعرف أسباب العتاب ، والاعتراف يهدم الاقتراف ؟

فمتى تصفحين وتغفرين ؟

أما لك في الله أسوة ، يا شقية ؟

فلو كان الله عز شأنه يعاقب على ذنب . . لسحق الناس جميعا منذ أزمان طوال . . ولكنه يعاقب مرة . . ويعفو مرات . . وبفضل رحمته وعفوه عاش الآثمون والاشقياء . .

وهل يئست من صلاحي يا سعاد ؟

أنا يا محبوبتي شاب رقيق القلب والوجدان ، ومستعد لأعظم تضحية في الحب . . الا أن تكون التضحية موجها الى الزهد الاثيم الذي يوجب أن أنسى انك فتاة رائعة الحسن . . بارعة الجمال . .

Twitter: @ketab_n

وهل في الدنيا فتاة يؤذيها أن يتطلع الحبيب الى حسنها الرائع . . وجمالها الفتان ؟

أنا أخشى أن تكوني مريضة ، يا سعاد ، فالنفرة من بشاشة الغزل والتشبيب لا تصدر عن فتاة صحيحة الجسم والروح . . حدثيني عن أدق الشئون عن حياتك الخصوصية، فقد أعرف السبب فيما ابتلاك به القدر من زهادة حسية لا تلتئم مع فتاة تشهد طلائع جسمها الفينان بأنها تنكر خمود الفؤاد . . أأنت التي تقولين : طهر قلبك . . ثم تعال ؟ وكيف أطهر قلبي من الصبوة والفتون ؟

وبأي حق أعيش . . اذا وقعت في الدنس ، دنس الجمود عن فهم روائع الصبابة والملاحة والجمال ؟

وكيف ألقى الله وقد اقترفت الاثم المنكر حين غفلت عن سحر العيون ؟

اسمعي يا شقية . . ان الضلال الذي تنكرينه عليَّ هو عندي أفضل وأشرف من الهوى الاثيم الذي يقترحه ذهنك الخامد وقلبك العليل . .

أنت والله غبية وبليدة ، ومن نكد الحظ أن أبتلى بحب فتاة غبية العقل . . بليدة الروح . . فان رزقك الله شيئا من صحة العقل ولطف الذوق فاسألي عني ، والا فهو الفراق الى غير تلاق . . الوداع ، الوداع . . يا ربة الصون والعفاف . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة السادسة والثلاثون

سعاد . .

كم حاولت أن تصح القطيعة التي أعلنتها في رسالتي الماضية . . لقد التفت الى واجباتي وشئوني أعظم التفات . . راجيا أن أستعين بالواجب على الحب . . فهل أفلحت ؟ وكيف يفلح من ابتلاه الله بهوى الملاح ؟

اني لأحسد الغافلين الذين أعماهم الجهل عن رؤية اللؤلؤ المنثور فوق بساط الوجود ، فأولئك قوم يعيشون في سلام وأمان كما تعيش الانعام . . وما أسعد الانعام في هذا الوجود ! أكاد أومن بأن الحيوان لا يتذكر ولا يحزن ، والتذكر والحزن هما أساس ما نعاني من بلاء . . والموت مريح لأنه يعفينا من الذكريات والاشجان . . فالحياة التي يحسها روحى وعقلي وقلبي هي مصدر ما أنا فيه من لواعج وشجون . . وهذا هو السر في اني أرجع اليك في عقب كل ثورة . . لأني أرى الثورة عليك من شواهد العافية فاصنعي ، يا شقية ، كل ما يوحي به جنون الشباب وسكر الدلال . . فلن أقف الا حيث تشير الحياة التي منحتك بفضلها من الحب ما لا تستحقين . . أنت مجنونة ، يا سعاد ، وأنا مجنون . . وما لذة العيش الا للمجانين ! هذه الثورة العاصفة وهذا العتاب العنيف هما الشاهد الناطق بأنني أتشبث بالحياة . . الحياة التي تجرى في دمي وعروقي جريان الماء في العود الرطيب . . سأخترق جميع المصاعب ، وسأكسر جميع الحواجز لأصل من هواك الى ما أريد . . فلا تظني أنني سأكتفي بالاشجان والمدامع . .

Twitter: @ketab_n

هيهات ! ثم هيهات !

فلو كـان بيني وبينك ألف خط من أمثـال خط ماجينـو لوصلت اليك بلا جهد ولا عناء . .

أنت لي يا سعاد . . والعزيمة القوية تفل الحديد وتخمد النار وتذيب الجلاميـد . . جربي عنـادك . . واعتصمي بشواهـد الغطرسـة والكبـريـاء . . فلن يكـون إلا مـا يشـاء الهـوى العـارم . . والـوجـد المشبوب، وسوف تعلمين . . وإلى اللقاء فوق جسـر اسماعيـل، أو فوق خزان أسيوط،إلى اللقاء يا منية القلب ويا عزيمة الروح ويا بلبلة الخاطر وعذاب الفؤاد . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة السابعة والثلاثون

سعاد . .

لقد أذاني ما أوجه اليك من الرسائل أعنف الايذاء فأكثر الناس يحسبونني أمزح . .

وهل يمكن المزاح مع الحب يا سعاد ؟

كانت تلك العواطف نكبة من نكبات الدهر سقطت فوق رأسي فأفزعتني ، وأعلمتني أن الدنيا ليست دائما ملاعب غواية ومواسم جموح . .

أي والله ! فقد عرفت ان الدنيا فيها لواعج وشجون ومآس دامية تتفطر لها قاسيات القلوب . . ويكفيني أن يكون في الدنيا فجيعة مثل فجيعتي في هواك لتصير كالنبات المر الذي يروق العيش ويؤذي الذوق !

كانت الدنيا في عيني ورداً بلا شوك فأصبحت شوكا بلا ورق . . وكذلك دنيا الحب لا يبقي فيها من الازاهير غير الاشواك . ما تمثلت فجيعتي في هواك يا سعاد الا شعيت الدنيا بنظرة الاحتقار والامتهان ، فالدنيا التي يشقي فيها قلب مثل قلبي خليقة بالكره والبغض والمقت ، وهي والله أحقر من أن ينصب لأهلها ميزان يوم يقوم الحساب . . أين ما كان عليه يوم كان ابتهاجك بلقائي يراقص أزاهير الارض ونجوم السماء ؟

وأين العهد الذي كانت تبدد فيه الدنيا وهي ملاعب لأهواء الافئدة ، ومراقص لأحلام القلوب ؟

Twitter: @ketab_n

ضاع كل ذلـك يا سعـاد . . وبقيت أسير الحـزن واليأس . . وخلت يدي من زمامك الطيع الذلول . . فمتى تهب نسمات الحب لتذكري محبوبك اليائس الحزين ؟

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثامنة والثلاثون

سعاد . .

اليك بعد الله أشكو بثي وحزني . . لم تعد لي طاقة بمقاومة الدسائس والوشايات . . ولم يبق لي صبر على تحمل مكاره الذنوب التي تختلق اختلاقا لافساد ما بيني وبين رؤسائي . . وقد فكرت في مقابلة الدس بالدس . . والبهتان بالبهتان . . ولكني لم استطيع لأن الله حرمني المقدرة على حياكة الدسائس والاراجيف . . وهو لم يمنع هذه القدرة لغير الضعفاء وقد تسأليني يا شيطانة عن شرح هذه الفكرة الفلسفية وأجيب بأن الله وهب لكل مخلوق سلاحا ما يدفع به عدوان المعتدين . . فوهب السم للثعبان ليخدر به ما يفترس . . وليخيف به من يعتدون عليه ، ومنح الاسماك ضروبا من الاشواك تقاوم بها الصيادين . . ومنح الكهرباء للسمكة النيلية التي تسمى « الرعاد » وهي سمكة بلا شوك . . وهي تدفع الشر بتلك الكهرباء . . هل رأيت « الرعاد » يا سعاد ؟

ومنح الاسود والنمور ما أعرف وتعرفين من مخالب وأنياب . . وخص الاقوياء من الرجال بمزايا جسدية وعقلية روحية . . يسيطرون بها على الناس . . فهل تعرفين ما هو السلاح الذي تفضل به الله على الضعفاء ؟

لقد لطف بهم عز شأنه فمنحهم القدرة على الدس والكيد . . كما منح السم لبعض صغار الحشرات . . تباركت يا ربي وتعاليت ولك في كل شيء حكمة ، وفي كل شيء دليل على انك خالق السم

Twitter: @ketab_n

والترياق . . وفاطر الداء والدواء ، ونحن بحكمك راضون . . وأقول يا سعاد ان الله حرمني القدرة على حياكة الدسائس والاراجيف لأنه منحني سلاحا غير هذا السلاح الذي لا يمنحه لغير الضعفاء . .

وقد شكوت اليك مرة ما يصنعه الدساسون في محاربتي . . فكان رأيك يا شيطانة أن أجزيهم كيدا بكيد ، وارجافا بارجاف . . فلتعلمي ان نفسي عزت علي فلم أقابلهم بغير الصفح والغفران . . ولكن اسفافهم زاد حتى طفح به الكيل . .

فما الذي أصنع ؟ هل أرجع الى رأيك الخاطىء . . فأدفع الدس بالدس ، والكيد بالكيد ؟ وهل اختلت موازين الوجود حتى أصير من الدساسين . . وأنا فارس يا سعاد ؟ ان الحب رفعني عن الدنايا والصغائر وكاد يعصمني من الهفوات . . فما الذي يمنع من أن أنظر الى الدساسين بعين الشفقة والعطف ؟

لقد شتمني أحد الادباء بمقال سخيف نشره في احدى المجلات . . ثم جاء يعتذر الي . . فقلت : أنا أعلم يا هذا انك أديب فقير . . فان كنت أخذت أجراً على ذلك المقال . . فبالهناء والعافية . . وان كنت نشرته بغير أجر . . فسأجزيك عليه لتعرف ان الدكتور بديع الزمان يعاون فقراء الادباء على العيش ، وطبيب الأبدان يجب أن يكون أيضا طبيب الجيوب ، ومرض الجسم قد ينشأ عن مرض الجيب . .

وهل تصدقين يا سعاد اني عاونت واحدا من هؤلاء على انشاء مقال في شتمي ليتقرب به الى أحد خصومي عساه يعينه على الظفر بوظيفة في وزارة الاوقاف ؟

أنا أريد أن أسمو الى منازل الاخلاق . . فهل أستطيع بفضلك

Twitter: @ketab_n

أن أسمو الى أعلى منازل الحب لأصير أشرف الرجال وأعظم الرجال ؟ ويلي منك ومن الناس يا سعاد !

لقد انتصرت على أعدائي ، فهل أنتصر على أحبابي ؟ وكيف . . وقد عجزت كل العجز عن الانتصار على قلبي . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة التاسعة والثلاثون

سعاد . .

انقضى شهـر رمضـان . . ولم أخـرج فيـه عن داري غيـر مرتين . . وهل في القاهرة ما يشوقني الى سهرات رمضان ؟ كان لي صـديق عزيـز يستقبل الـزوار في داره في جميع ليـالي رمضـان . . وكانت داره في ليالي شهر الصوم أشبـه الاشياء بسـوق عكاظ الـذي سمعت أخباره من « خوجة » العربي يوم كنت تلميذاً بالسعيدية . . ثم شاء القدر أن يصير هذا الصديق وزيراً منذ سنتين . . فمضيت للسمر عنده في رمضان الفائت . . فوجدت داره في حراسة الظلماء ، وعلى بابها جندي يتلقي بطاقات الزائرين . . فلعنت المناصب التي تخرج الرجال عن سجاياهم ، وتحولهم الى آلات صماء لا تسمع ولا تجيب الا بمحرك تقذفه الارض أو تنشق عنه السماء . . وقد ضاعت الوزارة من يد هذا الصديق ورجع الى استقبال الزوار في رمضان !

فهـل أزوره في رمضـان ؟ مستحيـل . . مسـتحيـل . . مستحيل . .

نـريـد رجـالا أوفيـاء لا تغيـرهم المنـاصب . . ولا تحـولهم الايام . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الاربعون

سعاد . .

أنـا في يـوم العيـد يـا سعـاد . . ولم تـزوريني في مصـر الجديدة . . ولم أزرك في أسيوط . . فكم عيداً في الحياة يا سعـاد حتى يجوز أن أحرم منك أو تحرمي منى في أيام هذا العيد ؟ كم عيداً في الحياة يا سعاد ؟ انها أيام نودعها طائعين أو كارهين وسنعض بنان الندم على ما فرطنا في جنب الحب ، فأعدى عدة الصبر الجميـل ! فقد يشاء القدر بعد أشهر أو أعوام أن تلبسي ثياب الحداد على حبيبك الغالي . . أنا حزين يا سعاد ، والعيد بأفراحه وملاهيـه لا يرفـع عن صدرى أثقال الشجون ، فهل أجد عندك دواء لهمومي وأحزاني ؟

تلقيت البريد في هذه اللحظة يا سعاد . . وليس فيه شيء من أسيوط ، فما الـذي وقع ؟ أتكـونين مريضـة ؟ أيكون السلوان مسـح قلبك بيده الرقيقة ؟

أتكـون الدنيـا فسـدت حتى لا يعـطف فيهـا قلب على قلب ؟ سأقوم أنا بواجب الحب يـا سعاد . . حتى لا يغضب الله على هـذه الـدنيـا فيحـولهـا الى ميـادين من البغض ، والحقـد ، واللوم ، والكفران . . سأغضب على نفسى فأجشمها السفر الى أسيوط لتحية الحب . . في دار سعـاد . . ان كانت سعـاد لا تزال في شـوق الى حبيبها الوفي الامين الذي ردته مكاره الصدود الى روح يأس حزين لا يعـرف أيكون العيـد في يوم الاحـد أو يـوم الخميس . . ولا يـدرى أيكون في مطلع رمضـان أو في استهلال شـوال . . وعند الله جـزاء الوفي الصادق .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الواحدة والاربعون

سعاد . .

مضت أسابيع وأسابيع . . وأنا محروم من نعيم الانس بالكتابة اليك ، وقد دفعت ثمن التقصير يا سعاد . . دفعته من راحتى وعافيتي . . والى قلبك الرقيق اقدم شرح هذا المعنى الدقيق . .

كنت أحسبني أتفضل أنى لم أكن أتفضل عليك ، وانما كنت أتفضل على نفسي . .

كان التفكير فيك يا سعاد يشعرني بأني رجل فاتك يسيطر على قلب امرأة عصماء ، وكان يدلني على مزايا نفسية تقوى بها عزيمتي ، وينشط بها جناني . .

وأهل الغفلة لا يدركون قيمة الشعور بالرجولة العاتية ، الشعور الذي يوحيه تعرض المرأة الآبدة لعرامة الرجل الفحل ، وهو شعور يدفع الرجال الى جلائل الاعمال . . فان اعترفت اليوم بأني كنت من الخاسرين حين أردت تأديبي بالسكوت . . فاعرفي اني لم أقل غير الحق . . وكيف أغالط نفسي وقد رأيت أن أيام السكوت لم تكن بالنسبة الى محبوبك الغالي الا أعوام خمود ؟

هل يغلق الرجل قلبه عن صوت المرأة الا وهو جاهل بمنافعه الصحيحة في دنياه ؟

ان مرارة الحياة التي أتجرع كؤوسها في كل وقت . . ليست شيئا بجانب الحرمان من عطفك يا سعاد ، فمتى تغفرين ذنوبي لأشعر ان في الدنيا قلبا يسامر قلبي ؟

Twitter: @ketab_n

أنت عـاتبة يـا « سعـاد » ولكنـك تنسين كيف يجـوز لمثلي أن يتغـطرس وهو يـرى فتاة عبقـرية تؤثـره بهواهـا القهار قبـل أن تخصه بجمالها الفضاح . . وما الـذي يمنع من أن يقـع الدلال من جـانب العاشق ؟ ما الذي يمنع وهو في حقيقة الامر معشوق من أجمل زهرة أنبتتها أسيوط ؟

أنا مجنون بالعظمة قبل أن أجن بالعشق ، فعظمتي في صدرك يـا سعاد هي سبب جنـوني ، وسأشـرك بهواك ، أن لم أكن أشـركت لتشهد الدنيا والناس أني فتى له تاريخ في تعذيب قلوب الملاح . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثانية والاربعون

سعاد . .

هل تفتحين صدرك لمن يستغفر ويتوب ؟

كانت رسالتي الماضية فنا من الحمق ، وهل رأى النـاس قبلي عاشقا يصارح معشوقته بأنه يشرك بهوى من يحب ؟

تلك دعابة يا سعاد ، فلا تغضبي ولا تعتبي ، فلن يقع هواى الا حيث تحبين . .

وهل تسمح الدنيا وهي غدارة ظلوم بأن تسـوق الى قلبي هوى أقوى وأعنف من هوى سعاد ؟

أعتذر ، أعتذر ، فاصفحي عني ، يا كل من أملك من مصادر البهجة والانشراح في شبابي . .

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثالثة والاربعون .

سعاد . .

أنا مع الدنيا في حرب ، مع الأهل في قتال ، مع الزملاء في نضال . .

فكوني في صفي ، يا سعاد ، لأنتصر على الدنيا والأهل والزملاء . .

كوني في صفي ، يا سعاد ، فلم يبق لي نصير غير قلبك العطوف . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الرابعة والاربعون

سعاد . .

أفي الحق أنك راضية عن أسلوبي في شرح معاني الحب ؟

أن رضاك عن أسلوبي سيدفعني الى منافسة أدباء مصر أجمعين اكتعين أبصعين « وذلك هو التوكيد الـذي علمونـا أياه في المـدارس الابتدائية والثانوية » . .

وأنا أعرف السر في الفصاحة التي يمتاز بها قلمي ، والسر كل السر هو الصدق ، فما عرفت يوما زخرف القـول ، ولا رضيت نفسي عن زور الحديث في جد أو في هزل . .

الا ترين كيف صبرت على هـواك . . وأنت غدارة ظلوم ؟ إن صبري عليك يا شقية هو أعظم الشواهد على أني لا أعرف المزاح في الحب . . وهل يمزح في الحب الا الكاذبون ؟

وكيف كان أسلوبي أفضل شمـائلي عندك يـا سعاد ؟ ألم تكن نظراتي اليك أفصح وأبلغ وأبرع وأصـدق من سائـر ما تفـوه به أهـل الفصاحة والبلاغة والبراعة والصدق ؟

هل تذكرين يوم وقفنا نناجي الشمس عنـد الاصيل فـوق خزان أسوأن ؟

لقد قضيت ساعة كاملة وعيناي تصبان في عينيك رحيق الحب والعشق ، وهي ساعة لن أنساها وان صنـع الغدر بقلبـك ما صنـع ، فكيف تكون رسائلي أفصح مما نطقت به عيناي ؟

Twitter: @ketab_n

تعالي الي ، يا سعاد ، لتعرفي كيف تكون فهاهة الالسنة بجانب فصاحة العيون . . سعاد تشهد اني فتى فصيح بليغ ، لأني أمتعت قلبها وذوقها برسائل أربت على الثلاثين ، فأين كانت سعاد من فصاحتي وبياني يوم أسرت فؤادها أسراً أبديا بنظرة واحدة حين التقينا في نادي القلم المصري على غير ميعاد ؟

اسمعي أيتها الغدارة الظلوم . .

ان الدنيا ضاقت في وجهي بفضل هواك الثائر العصوف ، فمتى ترجعين الي ، ومتى تعطفين علي ، يا أعظم الوارثات لجبروت حواء ؟

أنا مقبل على مكاره ومعاطب ، بسبب هواك يا سعاد ، فكوني في صفي لأنتصر على الأهل والزملاء والرفاق . .

سعاد . . كل شيء ما خلا الحب عبث ، كما قال شوقي ، فأين نحن من الحب ؟ وأين نحن من النعيم ؟

أنا واثق بأن بلائي بهواك سيطول ، ولكني مع ذلك واثق بأن ذلك البلاء هو سبيلي الى الخلود ، وسيحفظ الدهر اسم الفتى الشهيد . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الخامسة والاربعون

سعاد . .

أن اليـآس الذي يصـارعني من حين الى حين يكاد ينـطق بأن لقـاءنا الاخيـر كان القـطرة الاخيرة من كـأس الحب ، وما أمـر بقايـا الكؤوس في فم النشوان من عثرات الزمان !

فان اخترمتني المنية قبل أن أراك ، يا ريحانة القلب ، فتذكري ان روحي سيحوم حول دارك في كل وقت وهو ظمآن ، وسيستمع في كل لحظة عساه يسمع منك شهقة وجيعة على ذهابي ، ذهاب الطائر الغريب الذي ضنت عليه المقادير بأن يغرد فوق افنان الجمال . .

وما آسى على شيء يوم أموت كما آسى على ذهاب البهجة والبشاشة من دنيـا محبوبتي الغـالية ، المحبـوبة التي تجيـد فن التغـاضى عن جمرات القلوب ليحترق محبوبها وحيداً فريـداً بدون أن يـأنس روحه بصرخة عزاء . .

من أنت ، يا سعاد ، حتى ألقي في هواك ما لقيت ؟

وهل تستطيع فتاة يجرح خدها النسيم أن تسيطر على قلب فتى عارم فاتك . . الا أن يكون الضعف من القواعد التي قام عليها بنـاء هذا الوجود ؟ الضعف قدرة عاتية ، وبفضل الضعف عاشت مخلوقات تفوق العد والاحصاء ، فهنيئا لك تلك القدرة السخيفـة التي تصولين بها على قلبي ، يا أنضـر زهرة تعـطر بشذاهـا بستان الحب . . أنت سخيفة ، يا سعاد ، ومن بلايا الزمن أن يكون لأهل السخف قدرة على الحلم والجهل ، والهجر ، والوصل . .

Twitter: @ketab_n

رباه ! متى ترحمني من سيطرة أهل السخف ولو كانوا في حلاوة سعاد ؟

وهـل هنت عندك ، يـا ربي ، حتى يكون شقـائي ونعيمي بيد أحد من عبادك الفانين ؟

ربـاه ! أنت صاحب الحـول والـطول ، وبيـدك أمـر الاقـويـاء والضعفـاء ، ومن فضل جـودك صار النهـر الصغير أنفـع لخلقك من البحر المحيط ، وبفضل حكمتك صار من حق النمـال أن تعيش في أرض يصول فيها الافيال ، وصار من حق الطير الضعيف ان ينقر أنياب التماسيح ليظفر بحاجته من القوت . .

فكيف تكلني الى خلقك . . وأنت قادر على حمايتي منهم ؟

وكيف يرضيك أن ألجأ الى نصير سواك ؟

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة السادسة والاربعون

سعاد . .

اليك أعتذر ، يا محبوبتي الغالية ، ففي الخطاب السالف أشياء تخطت حديث الحب الى حديث الايمان ، وأنت زهرة قصيرة العمر لا يجب ارهاقها بالافكار التي تؤرق غفوات الرجال . .

ولا يبعد مع هـذا أن يكون خـطابي السالف كلمـات تنقل الى قلبك الفاني شرارة من لهب اليقين . .

والى متى أتركك في عمايات الجهل يا سعاد ؟ أنا أراك كالنملة التي تقف فوق البطيخة فتحسبها أعظم وأضخم وأعرض وأطـول من الكرة الارضية !

أراك ، امرأة ، يا سعاد ، وهل أنت الا امرأة ؟ والمرأة ، كمـا تعرفين ، ضعيفة العقل ، بشهادة الشرع الشريف ، أليست المرأة هي التي أخرجت أبانا آدم من نعيم الجنة الى جحيم الارض ؟

فماذا تريدين أن تصنعي معي ؟ يا بنت حواء ؟

أتـريـدين أن تكـــون رسـائلى اليـــك مقصـورة على شهـــوات الحواس ؟

ومـــا الحـواس ، يـــا سعـاد ؟ أليست من نعم الله . . واجب الوجود ؟

بفضـل البصـر رأيت وجهـــك الازهـر اللمـــاح ، ورأيت زبـد الامواج ، ورأيت ألوان الازاهيـر ، ورأيت وجه الشمس ، والقمـر ،

Twitter: @ketab_n

والنجوم ، ورأيت أسر الظباء وهي تعدو في الصحراء عدو المرح والجنون . .

رأيت ، ورأيت ، ورأيت ! ! ! ألم نر معا وجه القمر في مرآة النيل ؟

وبفضل السمع . . سمعت نجوى عينيك ، وأنا أول من سمع نجوى العيون ، وسمعت خفقان قلبك ، وان لم أكن أول طبيب سمع خفقات القلوب ، والاطباء يسمعون خفقة القلب بسماعة ، وأنا أسمع خفقة قلبك بأذني يا سعاد ، وأنتهز هذه الفرصة فأقول أن لقلبك خفقات أدق وزنا من الرقص التوقيعي ، وأحلى وأعذب من نبرات عبد الوهاب ، وسجعات أم كلثوم . .

وبفضل السمع . . سمعت تسبيح الارض وهي تحمد الله على أن مكنها من مصافحة قدميك اللطيفتين .

وبفضل السمع . . آنست بحفيف الاشجار ، وخرير الينابيع ، وهدير الامواج . .

وبنعمة السمع . . نعمت بوسواس الحلى وهو يهتف بأغاريد الحب فوق جيدك الجميل . .

وبحاسة السمع . . عرفت عن طريق الوشايات انك تخطرت مرة أو مرتين في شارع الحمراء لتدلي العيون ، عيون العمى من بنى آدم ، على انك أنت سعاد

وفي أذني الواعيتين . . سكب اللائمون والعاذلون أحاديث سأشقي بها الى أن أموت . .

وبأذني سمعت افتراءاتك الاثيمة على محبوبك الغالي . .

Twitter: @ketab_n

وبأذني سمعت صفير الاعاصير في قلبي ، القلب الذي حولته القطيعة الى خراب ويباب !

أما حاسة الشم عندي فأمرها عجيب ، وهل بعد جدائلك المعطرة مجال للأنف الذواق ؟

وأين أنفاس الازهار في أسحار الربيع من أنفاسك العطرة في ليالي الوصال ؟

وحاسة اللمس ؟

حدثيني أنت ، يا سعاد ، عن حاسة اللمس ؟

حدثيني عن الكهرباء التي ترعد جسمي وقلبي وروحي حين نتصافح صادقين لا عابثين . .

في يدك كهرباء ، يا سعاد ، فمن يبلغ أهلي يوم أموت أني مصعوق بمصافحة سعاد ؟

أنا أعرف سبب شقائي وبلائي ، والطبيب أعرف الناس بمصادر الشقاء والبلاء . .

لمست يدك مصافحا يوم التقينا على غير ميعاد بسهرة نادي القلم المصري ، فأمسيت ملموسا ، والملموس في لغة الريف المصري هو المجنون ، فأنا اذن مجنون سعاد . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة السابعة والاربعون

سعاد . .

ستصل اليك هذه الرسالة الدامية في صبيحة الافاقة من نشوة « شم النسيم » وهي رسالة أكتبها بدم قلبي في لحظات أشهد فيها أهلي وهم يلونون البيض بلون الدم النجيع ، أكتب هذه الرسالة وأنا مقتول الاماني والآمال بعد أن كتبت اليك ثلاث رسائل ولم أتلق طيفا من جواب . .

وأنا أعرف ذنبي ، يا سعاد ، وهل لي ذنب غير الثقة بوعود الملاح ؟

ما ذنبي ؟ ما ذنبي وقد وقفت عليك اهواء فؤادي ؟
ما ذنبي وقد رأيت جسمك الفينان وثناً تباح في حبه الذنوب ؟

سأذكر وستذكرين ، يا سعاد ، سنذكر معا أيام تصافينا ، وهي أيام مضت وكأنها بروق خواطف لا رجع لها ولا معاد ، سنذكر أيامنا التي مضت وكأنها خفقات قلب مبهور في حلم رائع لن تسمح بعودته الليالي . .

سنذكر ، ولكن متى ؟

فقد صرت أخشى ألا نعرف التصافي بعد أن أبتليت من هجرك بما ابتليت ، وهو هجر سيهد عزيمتي أن قضى الدهر بأن يطول . .

لا نفع من العتاب ولا غناء ، فلمنض في الهجران الى آخر الشوط ، ولننتظر ما تصنع الاقدار بمصاير الحب المعتدي عليه بلا جريرة ولا ذنب ، وهو أطهر من الماء ، وأرق من الهواء . .

Twitter: @ketab_n

لا أكاد أصدق انك نسيت العهد ، يا سعاد ، فما كان عهدنا بأهل للنسيان ، الا أن تكون الدنيا فسدت فساداً لا يرجى بعده صلاح . .

لا أكاد أصدق أن الهجر قد ينتهي الى قطيعة مجرمة لا يكون بعدها لقاء . .

فان وقع ذلك ـ وهو ما أخشاه ـ فستكون نهايتنا عبرة لجميع العاشقين . .

والخسران سيكون من نصيبك وحدك ، يا سعاد ، أما أنا فسأتخذ من فجيعتي في الحب قيثارة أرجع عليها ألحان الوجد والحنين ، لأخلد على الزمان . . كما خلد قيس بن الملوح ، وقيس بن ذريح ، والخلود صورة وهمية ، ولكنها من مشتهيات الرجال . .

أترين أن تعرفي كيف أحول فجيعتي في الحب الى ثروة أدبية ؟

اليك هذا القصيد :

في مثل هذه الايام من السنة الماضية حدثتني النفس بأن أقضى معك يوم « شم النسيم » في أسيوط ، ورأيت أن يكون قدومي مفاجأة طريفة فلم أكتب اليك عن موعد حضوري لتذوقي لذة النعيم الذي يفد على غير ميعاد . . وركبت قطار الصعيد في الساعة الرابعة بعد الظهر في يوم صائف لا أتنسم فيه الهواء الا بشق النفس ، وبعد ساعات طوال تعللت فيها بما تعللت من البرتقال الذي يباع في المحطات . . بعد أن صنع القيظ ما صنع ، وبعد أن أضناني التعب وصلت الى أسيوط قبيل انتصاف الليل . .

والله وحده يعلم . . كيف فرحت بمصافحة الظلام في أسيوط ، وما كان في أسيوط ظلام ، وانما كان فيها ليل مضاء

Twitter: @ketab_n

بـالكهربـاء ، والليل هـو الليل ، وان طـرزوا حواشيـه بخيـوط النـور الوهاج !

بعـد أن حفظت مكـاني في الفندق ، وبعـد أن تزودت بعشـاء خفيف ، مضيت للطواف بـدارك يا سعـاد . . وقد هممت ألف مـرة بطرق الباب ، ولكن كيف وأنا أتخيل أن يكون كله في نوم عميق ؟

ورجعت . . فقضيت الليلة ، ليلة الاحد ، في أحلام شـوائق لألقاك عند الصباح ، فهل لقيتك عند الصباح ؟

حدثوني انك ذهبت لقضاء يـوم شم النسيم في القاهـرة ، فما هذا البلاء ؟

أتذهبين أنت الى القاهرة . . وأذهب أنا الى أسيوط فيكون هذا الخذلان الفظيع ؟

ومع من تقضين عيد الربيع في القاهرة ؟
ومع من أقضيه في أسيوط ؟
تلك بلية وفجيعة ، والحب كله بلايا وفواجع !

وانتظرت . . فرأيت أسيوط في أفراح ، ورأيتني في أحـزأن ، رأيت مدينة تمرح بالبهجة والجذل والانشراح وهي مع ذلك لا تخجل من ان يشقى فيها عاشق غريب ، وللعاشق حق . . وللغريب حقوق !

وهل تعرف أسيوط هذه المعاني . . وهي مدينة مجنونة بحب المال وحب الذات ؟

هل تعرف أسيوط معنى الحب ومعنى العشق ومعنى الوفاء . . وأكثر أهلها يجمع القرش الى القرش والجنيه الى الجنيه . . والالف الى الالف . . والمليون الى المليون . . حتى جاز أن يقال أن أهل أسيوط هم خلفاء قارون ، عليه تحية الاصفر الرنان ؟

Twitter: @ketab_n

أين أذهب ؟ أين أذهب ؟
وأين يذهب بديع وقد فرت من وجهه سعاد ؟
أذهب الى الجبل لآنس بالاموات بعد أن استوحشت من الاحياء . .

وفي أسيوط جبل موحش ، ولكنه مؤنس لأنه يحفظ جماجم عجز عن ابلائها صرف الزمان . .

وانطلقت الى الجبل أحاوره وأناجيه . .

وأي جبل ؟ هل جبل أسيوط الذي شهد ما شهد من عدوان الفراعين بعضهم على بعض . .

هل تعرفين تاريخ بلدك يا سعاد ؟

أسيوط في لغة العرب اسمها سيوط ، واليها ينسب جلال الدين السيوطي ، وهي لغة المصريين اسمها سووط ، ومعناها الحارس ، لأنها في بعض العهود كانت الفيصل بين مملكة الشمال ومملكة الجنوب . .

وجبل أسيوط ، أو سيوط ، أو سووط ، كان مقبرة لسكانها في عهد الفراعين . .

صعدت ذلك الجبل في طريق عبدته مصلحة الآثارة في سنة ١٩٢٢ ، صعدته وأنا مكروب لأن سعاد غائبة عن أسيوط !

صعدته وفي قلبي لوعة ، لو خرجت من صدرى لاندك بها ذلك الجبل وصار ترابا تذروه الرياح . .

صعدت الجبل وحدي ، فقد كان حراسه مشغولين بالاستعداد لليلة شم النسيم . .

Twitter: @ketab_n

فماذا رأيت ؟ رأيت ما يسمونه « اسطبل عنتر » وهو حفرة منقورة في الجبل تذكر من يراها بالحفرة منقورة في جبل المقطم ، فعرفت أن نقر الجبال شنشنة عرفناها عن مصر من قديم الاجيال . .

وترقيت خطوات ودرجات . . فرأيت القبور المنقورة في جبل أسيوط ، فدخلت وأنا خائف أترقب لأني كنت سمعت أنها مسكونة بالعفاريت والثعابين ، فرأيت جماجم محنطة بقيت شعورها وجباهها وأسنانها ، جماجم لا يعوزها غير النطق لتقول أنها أبتليت في حياتها بهوى أعنف من هواى يا سعاد . .

ودار رأسى مما رأيت ، ولكن أين الطبيب وقد أذهلني الحب عن الطب ؟

تلك جماجم عانت من الوجد بعض ما عانيت . .
تلك جماجم لم يغنها التحنيط عن البلاء بجمود الموت
تلك جماجم لم يبق من هواها غير اشلاء . .
تلك جماجم أعجزها الفناء عن الاستجابة . . لصوت العاشق المكروب . .

وتلفت فرأيت رجلا بدويا يسألني عما أريد ؟
فقلت : أريد أن أعرف أسرار هذه الجماجم ؟
فقال :
عندنا من هذه الجماجم مئات الالوف . .

ورجعت الى نفسي . . فتذكرت ان التحنيط كان من حظ المياسير ، أما الفقراء فلم يكن لهم من التحنيط نصيب . .

فيا فاطر الارض والسموات . . كيف سترت الفقراء وفضحت الاغنياء ؟

Twitter: @ketab_n

الفقير بلى جسمه وباد فصار ترابا تعيش فيه الازهار والرياحين ، والغنى تحجر جسمه بفضل التحنيط فلم تبق منه غير عبرة يلهو بها السائح حين يشاء . .

وأقبل الليل وأنا مشغول بدرس الجماجم . . فسمعت كلابا تنبح فوق ما اطمأن من أرض أسيوط ،

فقلت :

لم يبق في الكون من خلود . . غير نباح الكلاب !

ثم انحدرت الى النيل لأرى هيام الناس في ليلة شم النسيم . .

والنيل في أسيوط أعجب من العجب ، هو سحر قهار . . ولكن أين من يفهم معناه ؟

النيل في أسيوط جميل ، جميل ، جميل ، ومع ذلك لم يقم على شاطئه قصر فاخر ، أو ملهى بديع . .

النيل في أسيوط زهرة نبتت في الصحراء !

على الشاطىء الجميل في أسيوط تقوم قرية اسمها « الوليدية » ومع ذلك يقال أن أسيوط هي وطن محمود بسيوني ، ونجيب الهلالي ، ومحمد علي علوبة ، وسيد خشبة ، والمنقبادي ، وتوفيق دوس ، وسعاد ، فأين مظهر الحضارة على شط النيل هناك ؟

أسيوط تنحاز الى الجبل وهو مقر الاموات . . وتجانب النيل . . وهو مقر الاحياء . .

وفي ليلة « شم النسيم » كان النيل في أسيوط يعرف من العربدة ما لم تعرف دجلة في عهد الرشيد ، وكانت أحشاؤه تعرف من الخفوق ما لم تعرف أحشاء الفرات في عهد الطغيان . .

Twitter: @ketab_n

كـان الفرح من نصيب السـامرين فـوق أمـواج النيـل ، وكنت وحدى صورة للعاشق الغريب . .

فيا سعاد ، الى متى الصدود ؟

ومتى نفرح معا في ليلة « شم النسيم » ؟

لك دنيا الغدر ، ولي دنيا الوفاء . .

أنا الصابر على كرب الهجر ومكاره الصد والحرمان .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثامنة والاربعون

سعاد . .

سعاد ، طال العهد بالتحدث الى قلبك الرقيق ، ان كان للرفق مكان في صدور الملاح ! وهل أفدت شيئا من الشكوى والانين حتى أرجع الى بث الاشواق من جديد ؟

وما قيمة الصداقة والحب في هذه الدنيا الجدوب ؟
وهل كان أصدقائي الا أقواما أسخياء بالهجر والصدود ؟

كم ليلة قضيتها في كرب وضيق وأنا أنتظر من يسأل عني ، ثم انقضت الليالي . . وأنا وحيد فريد لا سمير لي غير وساوس القلب ولواعج الفؤاد . .

هل تنسم هذا العصر روح الصداقة ، يا محبوبتي الغالية ، ان كانت الايام أبقت عندي من الحياة ما يسمح بالشعور بأن لي في الدنيا محبوبة غالية ؟ !

الصداقة كلمة خرافية حفظتها المعاجم كما تحفظ المتاحف جماجم الاجسام الخالية ، وسيكون لتلك الكلمة مدلول يوم يكون لهذه الجماجم أرواح ، وهيهات هيهات !

ما أعظم شقائي ! وما أضخم بلواي في دنياي !
كنت أظن الصداقة فكرة صحيحة ، ومن أجل ذلك عانيت ما عانيت في البر بأصدقائي ، فأين أنا مما ظننت ؟

ومتى أسترد الثقة بصلاحية الدنيا للصداقة والحب ؟

Twitter: @ketab_n

ما خطر في بالي أن الصداقة باب من أبواب المنافع ، ولا رجوت أن تكون الصداقة مفتاحا من مفاتيح المغانم ، فقد أغناني الله عن الوصولية ، وصان وجهي عن التعرض لمكرمات الاصدقاء . .

ولكن كيف قضت الاقدار بأن أسال الله السلامة من شر أصدقائي ؟

وما قيمة الدنيا اذا جاز فيها أن يتخوف الصديق عواقب الثقة بالصديق ؟

أهذا هو المصير المحتوم لكل من يفد على الوجود بقلب سليم ؟

أتلك هي الصحائف البيض التي نلقي بها الله يوم يقوم الحساب ؟

من يبلغ بني آدم في هذه البلاد انهم على شفا الهاوية ، لأن حيواتهم خلت من معاني الصدق في الاخوة والحب ؟

من يبلغ بني آدم في هذه البلاد ان التآلف هو ملاك الوجود ؟

من يبلغ بعض الناس ان الذي يفرط في حق الصديق يخطو خطوات سريعة مخبولة الى الانحطاط والاغلال ؟

ومن أجل هذا المعنى أحرص على هواك ، يا سعاد ، فما أحب أن يقال ان الدنيا فسدت حتى خمد الحب في صدر العاشق الولهان . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة التاسعة والاربعون

سعاد . .

لا تعجبي من الضجر الذي احتوته رسالتي الماضية ، فقد كنت مكروباً ، وكان صدرى في غاية من الانقباض ، والادب صورة النفس ، وهو يتلون بما فيها من قلق وهدوء ، كما يتلون الماء بلون الاناء ، وكم تمنيت الا أكتب اليك الا وأنا طروب جزلان ، ولكن من يضمن دوام الطرب والجزل لرجل يعايش أبناء الزمان ؟

كان يقال : « لكل صارم نبوة ، ولكل جواد كبوة » فما الذي يمنع من أن يقال : « لكل طريق حفرة ، ولكل صدر غل ، ولكل قلب ملال » . .

كذلك نسير في دنيانا فوق طرائق فيها حفرات وعقبات ، وبين ناس فيهم العدو قبل أن يكون فيهم الصديق ، وفيهم الغوى قبل أن يكون فيهم الرشيد . .

من الصحيح ، يا سعاد ، أنه يجب أن نقبل العالم على علاته الفوادح ، وان نرضى بأن يكون حالنا فيه حال من رضوا بالاقامة في أرض معرضة لأخطار الزلازل والبراكين ، وهم مع تخوف تلك الاخطار لا يفكرون في الرحيل . .

هذا صحيح ، لكن هل قدت قلوبنا من الصخر حتى تسلم من التأثر بمكايد الزملاء والرؤساء ؟

قيل ان الاطباء هم البلسم الشافي لجراح الانسانية

Twitter: @ketab_n

فمن يداوي الطبيب اذا كان جراحه أثرا لدسائس صـوبها اليـه صديق من الاطباء ؟

وكيف يرضى الخير في زمن يكون آسيه طبيبا يداوى الناس . . وهو عليل ؟ !

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الخمسون

سعاد . .

في هـذه الليلة تذوقت ألـوانا من الحـزن المـوجـع . . ولكن كيف ؟

أراد الاطباء ان يقيموا حفلة تكريمية لمعالي الدكتور علي باشا ابـراهيم بمناسبـة بلوغه الستين ، أطـال الله عمـره وأدام عليـه نعمـة العافية . وقد تسابقنا الى الاشتراك في هذا الاحتفال ، رغبة لا رهبة ، فليس منصب الوزارة بقادر على أن يسوقنا الى تكريم رجل لا نحبه ، وعلي ابراهيم رجل محبوب ، لأن فيه شمائل ذاتية تفرض أن يحب ، وان لم يستطع ان يظفر منى بغير الاعجاب ، والتصريح بهذا المعنى كـان السبب في أن تبخـل لجنـة التكـريم بـأن أكـون من خـطبـاء الاحتفال . .

لو سمحت اللجنة بأن ألقي خطبة لأتيت بالعجب العجاب في وصف مواهب الدكتور علي ابراهيم ، لأن العظماء كاللوحات الفنية لا يدرك أخطارهم الا من كان ينظر اليهم من بعيد ، وأنا لم أحظ بشرف الاقتراب من الدكتور علي ابراهيم ، فكان من أثر ذلك أن تظهـر لي مواهبة واضحة جلية ، كالذي ينظر من بعد الى لوحة تصـور شاطىء نهر ، أو قمة جبل ، أو مسقط شلال . .

ان الذي ينظر الى اللوحة الفنية من قـرب لا يرى غيـر الالوان التي خطتها ريشة المصور ، أما الذي ينظر الى اللوحة الفنية من بعد فيرى الالوان التي خطتها ريشـة الوجـود . وكذلـك من مواهب علي

Twitter: @ketab_n

ابراهيم ما لا يعرف الاقربون اليه وما لا يعرف خطباء الاحتفال .

وهـذا هـو السـر الى نفـرتي من التعـرف الى الـدكتـور علي ابراهيم ، مع انه يعرفني ، ولكن كيف يعرفني ؟

يعرفني من ملف خدمتي ، فأنا عنده طبيب أهوج يدعي الادب ويشاغب الزملاء والرؤساء ، وهي صفات تؤكدها زعزعة الحيـرة بين مستشفيات القاهرة ، والاسكندرية ، وبنى سويف ، وقد يزيدها تأكيدا ما سمعت من أني قد أنقل الى أسوان . والنقل الى أسوان لا يؤذيني ، فأسوان بلد جميل ، وهو صلة الوصل بين مصر والسودان ، ولكن هذا النقل « ان وقع » لن يكون الا من صور الاضطهاد ، ويومئذ يكون من حقي أن أنفض يدي من الثقة بوزير الصحة العمومية ، وان كان اسمه علي ابراهيم ، ثم يكون من حقي أيضا أن أقول في وزارة الصحة ما أقول ، فأنا أشرف من جميع من يضطهدونني بلا بينة ولا يقين ، واذا كـان الرسـول ﷺ أمر بـاتقـاء غضب الحليم فسـأكـون ذلـك الحليم الغضبان .

أين أنا مما أريد أن أقول ، يا سعاد ؟

لم يكن من همي في مـطلع هـذا الخـطاب أن أتحـدث عن اضطهاد الابرياء ، وانما كان همي أن أتحدث عن الاحتفال بتكـريم الدكتور علي باشا ابراهيم . .

كانت الحفلة الاولى نهارية ، ونحن في رمضان ، فهل كان من الحتم أن يقام الاحتفال في شهر رمضان ؟

ومـا الذي يمنـع من اقامـة الاحتفـال في أيـام العيـد ليتسـاقي المحتفلون كئوس الليمون والبرتقال ، وليتناولوا معا طعام الغـداء في كلية الطب ، تذكيراً بعهد التلمذة ، عهد المرح والطرب والفنون ؟

Twitter: @ketab_n

كنت صائما ، والمحتفلون صائمين ، أو كنت وكانوا من الذين يراعون آداب الصيام ، والأمر واحد في الحالين ، فما استطعت ولا استطاع احد من زملائي أن يجد ذوق المرح والطرب في ذلك الاحتفال ، وانما قضينا كما تقضى بعض الواجبات في أدب وصمت وخشوع ، ولو أجلنا الاحتفال مدة لا تصل الى ثلاثة أسابيع لقضيناه في طرب ، وفرح وانشراح . .

والاطباء هم أعرف الناس بقيمة الطعام والشراب في تحريك الاوردة والشرايين وتنبيه القلوب والاحاسيس

وقد عرضت هذه الفكرة على أعضاء لجنة الاحتفال ، فما سمع سامع ولا أجاب مجيب ، لأني فيما قيل شاب حديث العهد بوقار « الحكماء » . .

أما حفلة المساء فكانت في قاعة الحفلات بالجامعة المصرية ، وهي قاعة عظيمة جدا ، وكان يجب أن تكون في القاهرة لا في الجيزة ، ليكون الوصول اليها سهلا على الجميع من رجال ونساء ، في أمثال هذه الليالي « البيض » . .

ليالي الظلمات بسبب الغارات . .

كان في الحفلة اثنان وعشرون خطيبا . . أعوذ بالله . .
أعوذ بالله . .

وأين من يصبر على سماع اثنين وعشرين خطيبا في ليلة من ليالي رمضان . . وهي ليال لا يطيب فيها غير السمر والحديث ؟

وهنا أذكر كيف تألمت وتضجرت . .

عز علي أولا أن أتصور كيف يمكث الدكتور علي باشا ابراهيم في مكان واحد اكثر من خمس ساعات وقد قيل انه بلغ الستين !

Twitter: @ketab_n

وعز علي ثانيا ان أشهد جماعة من الزعماء ينصرفون فرارا من طول الاحتفال . . وما تألمت من لحظة الى لحظة بلا موجب معقول ، فقد تذكرت « شقاوتي » حين كنت تلميذاً بالسعيدية ، فقد كنت مع الاسف زعيم التلامذة المشاغبين ، وبذلك تعثرت في امتحان البكالوريا مرتين ، لا ثلاث مرات كما يزعم بعض السفهاء !

تألمت لأني كنت تلميذاً كهؤلاء التلاميذ . . تألمت لأني كنت مجنوناً كهؤلاء المجانين . . فمن يردني الى عهد التلمذة لأكفر عن ذنوبي ، ولأقتنع بأني كنت في عهد التلمذة من العقلاء ؟

ثم حان الوقت لسماع قصيدة الدكتور ابراهيم ناجي

فصرخ طلبة الجامعة بصوت بغيض : « عاوزين اسمهان . . عاوزين أسمهان » . . فمن يدافع عن سمعة مصر يوم يقال ان فيها شبانا يصمون آذانهم عن سماع قصيدة للدكتور ناجي ، وكان أكثر هؤلاء الشبان من كلية الطب ، وناجي من كبار الشعراء ، وهو بلا جدال أشعر الاطباء ؟

وهل يكون غناء اسمهان أعذب من شعر ناجي ؟

ان أم كلثوم لا تستطيع الزعم بأن غناءها أعذب من شعر ناجي ، فكيف يقال أن شعره أقل بشاشة من غناء اسمهان في نفوس أولئك الشبان ؟

أولئك طلبة اليوم ، يا سعاد ، وهم تلاميذي في « الشقاوة » . .

فليرحمهم الله وليرحمني . .

كان فيهم « بك » حفظه الله يعرف كيف يكف شرى ، يوم كان ناظر السعيدية ، فكان يدعوني الى مكتبه ليقول لي :

Twitter: @ketab_n

« يـا بديـع ، لا تخيب ظني فيك . . » وكـانت هـذه الكلمـة الكـريمـة تصـرفني عن الشغب أسبـوعـا ، أو أسبـوعين ، ثم أعــود للتحالف مع الشيطان الرجيم . .

ألم أكن السبب الاصيل في صد الشيخ علي الجارم عن تفتيش المدرسة السعيدية ، مع أنه كان من أكابر المفتشين ؟

وأنا أحاول تلطيف الحدة المشبوبة في صدور طلبة الطب . . فأقول :

« لا تخيبوا ظنوني فيكم يا زملائي ، باعتبار مـا سيكون ، فلن يبق للرجال غير كرائم الاعمال . . وسوف تعلمون ان أدب النفس هو الذخيرة الباقية لأحرار الرجال . .

وان عشنـا لـلاحتفـال بـالعيـد السبعيني للدكتـور علي بــاشـا ابراهيم . . فسيكون لي معكم حديث أعمق من هذا الحديث . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الواحدة والخمسون

سعاد . .

نسيت في الرسالة الماضية أن أذكر فكرة ملأت خواطري حين حضرت الاحتفال بتكريم الدكتور علي باشا ابراهيم ، فقد غنت اسمهان تغريدة بعيدة عن ذكريات الشعر الموصول بتاريخ هذا الطبيب المفضال . فما هي تلك الذكرى الشعرية ؟

في صباح يوم الجمعة ٢٩ فبراير سنة ١٩٢٩ ، نشرت جريدة « الأهرام » قصيدة غراء لأمير الشعراء شوقي بك في تكريم الدكتور علي ابراهيم . . وكان مبضعه قد استأصل علة من جسم الشاب حسين شوقي ، وكان حسين كما وصفته جريدة « الاهرام » يومئذ . . زهرة بيت أمير الشعراء النضرة الزاهية . .

فهل تعرفين يا سعاد . . كيف صار حسين شوقي ؟

لمحته في أحد الاماكن منذ أيام . . فرأيته أشيب الرأس ذاوى العود . .

هي الدنيا يا سعاد لا يبقي فيها أحد على حال ولو نشأ في « كرمه ابن هانيء » فماذا قال أحمد شوقي في علي ابراهيم ؟

تلك قصيدة رائعة ختمها بهذه الابيات :

يا أخي ، والذخر في الدنيا أخ
حاضر الخير على الخير أعانا
لك عند ابني ، أو عندي يد
لست آلوها ادكاراً أو صيانا

Twitter: @ketab_n

حسنت مني ومنه موقعا
فجعلنا حرزها الشكر الحسانا
هل ترى أنت ؟ فاني لم أجد
كجميل الصنع بالشكر اقترانا
واذا الدنيا خلت من خير
وخلت من شاكر هانت هوانا
دفع الله « حسينا » في يد
كيد الالطاف رفقا واحتضانا
لو تناولت الذي قد لمست
منه ما ردت حذاراً أو حنانا
جرحه كان بقلبي ، يا أبا
لا أنبيه بحرص كيف كانا
لطف الله فعوفينا معا
وارتهنا لك بالشكر لسانا

وهي القصيدة التي خطرت في بال رياض السنباطي ، أدام الله عليه نعمة الصوت الحنان !

قد تسألين عن السبب في تنبيه لجنة الاحتفال الى هذا القصد ؟ وأقول :

كان ذلك في بالي ، ولم أبخل عليهم بهذا التنبيه السديد ، وإن كان صدرى مملوءا قيحا من الحقد على بعض الزملاء ، ومن عاني من زمانه بعض ما عانيت . . يبخل عليهم بالهداية الى مورد الماء وهم ظماء . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثانية والخمسون

سعاد . .

كان أمس يوم عيد ، عيد الفطر ، فهل كنت في عيد ؟ وكيف يعرف يوم العيد من يقضى الايام والاعوام وهو مصدود عن مرابع الهواء ؟

كنت أعرف العيد لو قضيته معك في أسيوط ، أو قضيته معي في اشمون ، ولكني بقيت حيث كنت في رجب ، وشعبان ، ورمضان ، وحيث أكون فيما بقي من مواسم حياتي ، بقيت مهجوراً مجفوا لا أرى وجه الدنيا الا من نافذة ضيقة أشد الضيق ، هي نافذة الأمل المهدد بعواصف اليأس ، اليأس من روح المودة والصفاء . .

فمتى تشهد الدنيا مواكب افراحنا ، يا ظلوم ؟

ومتى نهتف كما تهتف أم كلثوم « حرام النوم في ليلة العيد » ؟

ان عيدي يوم ألقاك ، يا سعاد ، فمتى نلتقي ؟

متى نلتقي قبل أن يشيب فؤادي والفؤاد يشيب كما يشيب الرأس ؟

لقد ابتسمت لبرقية التهنئة بالعيد ، وهي برقية مزخرفة ، وفيها تشابه من لفظك المزخرف المصقول ، فمتى أنبأك ان هذه الزخارف تغنيني أو تلهيني عن اللوعة الى الاصطباح والاغتباق بوجهك الجميل ؟

أجل ، يا سعاد ، واسأل الله أن يجعل مصيرك الى جهنم

Twitter: @ketab_n

لتذوقي عذاب الحريق كما يذوقه فؤادي ، فلن أعفو عنك أبداً ، ولن أنسى ما صنع معي قلبك المقدود من الجلمود ! !

وعند الله أحتسب ما قضيت من الصـد الضائـع في البر بـأهل الغدر ، والوفاء لأرباب العقوق . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثالثة والخمسون

سعاد . .

اليك رجعت ، يا سعاد ، بعد اليأس من الرجوع الى اصطلاء الجمر ، جمر الهوى المشبوب . .

ولا تسألين كيف رجعت ، فلست أملك الجواب الصريح . .

وهل أستطيع أن أجيب بأني رجل مجنون لا يملك الصبر عن هوى الغيد الرعابيب ؟

اسمعي ، يا سعاد ، هل تعرفين من أين جاءت كلمة العشق في اللغة العربية ؟

جاءت من « العشقة » بفتح العين والشين ، والعشقة هي « اللبلاب » وهو يتلوى على الشجرة ويلزمها لزوم الغريم فلا يتركها ولو قصفتها الرياح ، فهو يطوقها وهي مطروحة على الارض ، كأن بينه وبينها « معاهدة عدم انفصال » . .

والشجرة التي تصاب بتطويق اللبلاب شقية كل الشقاء ، فليس لها يد تنحى ذلك المعتدي الاثيم ، وليس لها ذيل تطرده به كما تصنع الانعام في دفع الذباب ، وانما تحتمله على كره وانقباض ، بدون أن تملك التخلص من كابوسه الثقيل . .

وكذلك يصنع العشق بألباب الرجال ، فهو يطوقها بلا تلطف ، ولا ترفق ، ثم يظل على سجيته في الغرام بالتطويق العنيف ، فلا ينفصل ولو ذهب الموت بصرعاه ، لأن به شوقا الى تعذيب المحبين في الحياة وبعد الممات . .

Twitter: @ketab_n

كيف السبيل الى الخلاص من هذه الآفة الروحية ، آفة العشق ، وهي لا ترحم من ابتلته الاقدار بظلمها الاثيم ؟

وهل نجا من شرها أحد في العالمين »

من كرب العشق استعيذ بفاطر الاعناب والنخيل !

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الرابعة والخمسون

سعاد . .

اليك أسوق هذا الخبر الظريف :

أجريت بحديقة منزلي بأشمون تجربة علمية في العشقة وهي اللبلاب ، وقد انتهت التجربة بأن العشقة تتخير الاشجار ، فتترك الشجرة الضعيفة ، وتطوق الشجرة القوية ، أفلا يكون معنى ذلك ان العشق يسلك هذا المسلك فيتخير القلوب ؟

هو ذلك ، يا سعاد ، فما حل العشق بقلب ضعيف ، وانما يصوب سهامه الى أقوياء القلوب . .

وذلك شاهد جديد على عظمة العاشقين . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الخامسة والخمسون

سعاد . .

عنك يا شقية ، تلقيت درسا لن أنساه ، ولو طال الزمان . .

منذ شهرين او ثلاثة جاءت الاخبار بأنك رهينة المرض في مستشفى أسيوط ، فماذا كان يجب أن أصنع ؟

أكان يجب أن أترك عملى وأسافر لأرى وجه البدر عند الخسوف ؟

لم يهن عليَّ ان أراك مريضة ، يا سعاد ، لم يهن عليَّ أن أشاهد وجهك الاصبح وقد نال منه الداء ، لم يهن عليَّ أن أتمثلك في صورة حزينة تزاحم صورك البواسم في روجي وفؤادي ، لم يهن عليَّ اني أدخل عليك بعد استئذان الاطباء ، ولم يكن بيني وبينك حجاب ، ولا توهمت ان الاقدار قد تقضي بألا أدخل عليك الا بعد استئذان ، ولأى سبب ؟

لأنك مريضة ، وقد يؤذيك التلطف بالعائدين ، اذ كان يفرض مجهوداً ينتهي أحيانا بالاعياء . .

لهذه الاسباب أعفيت نفسي من السفر ، ورحمتها من عيادة سعاد . .

ولكن سعاد الغبية بتودد المتوددين ، وترفق المترفقين ، فلم تخرج من المستشفى بعد أن أقامت فيه شهرين اثنين الا ولها ألف صديق وصديق !

Twitter: @ketab_n

يا غبية ، متى تعقلين ؟

أتكون بطاقة يتركها أحمق لم يسمع باسم الحب الا كما يسمع باسم البقلة الحمقاء دليل مودة واخلاص ؟

أتكون زيارة من أبله معتوه لا يهمه الا أن يقال أنه زار سعاد شاهداً على أنه من أرباب القلوب ؟

أيكون خطاب من رجل أغلف القلب علامة على انه من أصحاب الاذواق الروحية ؟

يا غبية ، متى تعقلين ؟

وما هو الذي أسمع من أخبار العطف الذي تبذلينه بلا حساب لمن عادوك متطفلين على وجهك الرائع ؟

كان يقال ان الجمال دليل على اكتمال المواهب في أهل الجمال ؟

فأين الشاهد على صحة هذا القول ، وأنت الآية على ما فيه من بطلان ؟

أنا وحدى اكتويت بنيران الاحزان حين علمت انك من المرض في لأواء . .

أنا وحدى بكيت حين سمعت ان زهرة أسيوط قد يعتريها الذبول . .

أنا وحدى الذي توجعت حين عرفت انك من الألم في عناء . .

ولو سئل البدر لشهد ، ولو سئلت النجوم لشهدت بأني قضيت شهرين في اشجان تعجز عن حملها الجبال ، لأن سعاد أقامت في المستشفى شهرين ، ثم نشطت من عقالي حين جاء البشير بأن سعاد

Twitter: @ketab_n

أصبحت من المرض في أمان . .

فهل سألت عني سعاد حين برئت من علتها العاتية ؟

وكيف ولم أعدها مع العائدين ، ولم أقدم لها باقة من الازهار والرياحين ؟

كل هدية مقبولة ، الا هدية القلب . . فمتى أجد من يعرف قيمتك ، يا قلبي ؟

الزهرة التي تذبل بعد لحظة أو لحظتين يستحق مهديها نظرة عطف ، أو كلمة ثناء ، أما القلب الذي أهديته الى سعاد ليقضى العمر في التسبيح من نورها الوهاج فهو هدية تافهة لا يقام لها ميزان . .

وما كان ذلك الا لأن سعاد غبية برغم نشأتها في أسيوط ، فكيف قضى الحظ العاثر بأن تكون محبوبتي غبية وحمقاء ؟

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة السادسة والخمسون

سعاد . .

هل تألمت من رسالتي الماضية ؟

لم أكذب في حرف واحد مما سطرت في تلك الرسالة الدامية ، فأنت كما صورتك بلا تزيد أو افتراء ، وأنا أنا كما صورت نفسي بلا تكبر ولا استعلاء ، أنا العاشق الصادق الذي بذل من لهجته ما بذل بدون أن ينتظر الجزاء ، وهل من العيب أن أنتظر الجزاء وهو النصيب المشروع لأهل الصدق والوفاء ؟

متى تستغفرين من ذلك ، يا سعاد ؟

متى أراك وقد اعترفت بأنني وحدي الصديق الوفي الامين !

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة السابعة والخمسون

سعاد . .

اليك رجعت بعد الطواف . . بأودية الغدر والعقوق .

رجعت كارها غير طائع ، فما استطاعت الدنيا بما فيها من جمال وصباحة أن تقنعني بأن لك شبيها بين الملاح ، يا أجمل من سيتغني بفتنته شعراء الحب في دار الخلود ، ان استطاع شاعر ان يهتف بحبك ، وأنا فارسك الصوال . .

رجعت ، يا سعاد ، رجعت . .

رجعت الى طرفك الساحر ، وصوتك البغوم . .

رجعت الى شقائي في الحب ، وبلائي بالصدود . .

رجعت الى فتنة النهار ، ومحنة الليل . .

رجعت الى الحبيبة المكلفة بتعذيبي وايلامي . .

رجعت الى من اليها المرجع ، ولو قضيت الاعوام في الهرب من نورها الوهاج . .

سعاد . .

كيف أفر من طلعتك البهية ؟

كيف أنجو من خيال ذلك اللون ؟

وما ذلك اللون ؟

هل أقول ما أريد فأفضح نفسي ؟

ان جبال الذهب والفضة والعقيق في أساطير الاولين لا تساوى عندي لمحة واحدة من النظر الى بعض ما يستر ثوبك الشفاف عند

Twitter: @ketab_n

اعتراك العواطف في حومة العتاب . .

رأيت ما رأيت ، وعرفت ما عرفت . .

وسأموت احتراقا من هول ما رأيت وما عرفت . .

سأسأل ضمير الوجود كيف سمح أن يهبك ذلك اللون ، وهو غريبة الغرائب بين الالوان . .

لون ينطق ، فماذا يقول ؟

وما لحنه بين الالحان ؟

سعاد . .

الا ترين أني أول شاعر يحوم حول معان لم يفطن لأمثالها الشعراء ؟

لن أتكلم بعد اليوم في غير فلسفة اللون ، اللون الذي رأيت ، اللون الذي زلزل قلبي ، وزعزع كياني ، اللون الذي رأيته يترقرق فوق جسد سعاد . .

دنياي ، كما ستعرفين ، ظلمات من فوقها ظلمات ، فهل يشرق الوجود من حولي بفضل ذلك اللون ، وهو اسحر ما زاغت به البصائر والقلوب ؟

أهو لون خمري ؟ كذلك قيل !

ولكن هل تصنع الخمر ما يصنع هذا اللون ، مع ان المنسوب أضعف من المنسوب اليه ، كما قال أستاذ اللغة العربية في المدرسة السعيدية ؟

لو كان الشفق هو الذي منح جسمك ذلك اللون ، يا سعاد ، لتوهمت انه عارية وصلت اليك من التجرد بعد الغروب . .

Twitter: @ketab_n

ولكنه فيما ارى منحة ربانية لا تعرف الزمان ولا المكـان ، فهو خصيصة من الخصائص السعادية ، وأنت تعرفين ما أريد . .

سعاد ، سعاد ! !

الله الذي خصك بذلك اللون هو الذي خصني بذلك الحب ، فان كان لونك غاية في السحر فحبي غاية في الصدق . .

والى اللقـاء ، يا سعـاد ، في جحيم ذلك اللون ، ان شـاءت المقادير أن أرى منه ما رأيت ، وان أعرف منه ما عرفت . .

الى اللقاء في أسيوط او اشمون . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثامنة والخمسون

سعاد . .

حدثتك في رسالتي الماضية عن اللون ، وأحدثك في هذه الرسالة عن الصوت ، وأي لون ؟ وأي صوت ؟

ذلك لونك يا سعاد ، وهذا صوتك يا سعاد ، وما أحلى أسمك على لساني وقلمي ، أكاد والله أعض ، لساني واقضم قلمي حين يهتفان باسمك الحلو الجميل ، يا ريحانة حياتي في هذا الوجود . .

تحدثت عن اللون في الرسالة الماضية ، فهل شفيت صدرى بذلك الحديث ؟

أغلب الظن أني سأرجع الى وصف ذلك اللون يوم نلتقي في عيد الميلاد ، فهل تحضرين يا بخيلة لننير ظلام القاهرة في ليلة عيد الميلاد ؟

أتحدث اليوم عن الصوت ، صوت سعاد . .

وهي تباغتني من قريب أو من بعيد ، فما سمع مثله السامعون ، ولا رأت الدنيا مثل ما في نبراته من رنين .

ألو . . ألو . . ألو . .

كل الناس يقولون هذه الكلمات حين يهتفون بالتليفون ، ولكن صوت سعاد له سجع ينقل القلب من مكان الى مكان ، وقد يبلبل النفس والروح ، ومن لم يسمع صوت سعاد فليس من حقه أن يقول أنه تنسم أرواح النعيم . .

وحين نجلس في لحظة غضب أو ساعة صفاء ، تتحدث

Twitter: @ketab_n

سعاد ، وفي حلقها بلبل يغرد أغاريد العتب أو أغاريد الارتياح ، وما أعذب صوت سعاد ، فهو جميل ، جميل في جميع الاحوال ، ولو سجع باللوم والتثريب . .

بلبل يسكن في حلق سعاد ولتهتف بصوته حين تريد ، وأقول الحلق ولا أقول الحنجرة كما يقول من يصفون صوت أم كلثوم . .

لأن الحلق ورد في بعض القراءات « يزيد في الحلق ما يشاء » . .

وجل من خلق صوت سعاد !

أيكون صوتها وسواس الحلى على نحور الملاح ؟

أيكون صوتها نميمة الحبيب على فورة الرحيق ؟

أيكون صوتها خفق الاماني في صدر العاشق الملهوف ؟

أيكون صوتها نجوى الازهار وهي تداعب الندى ؟

أيكون صوتها صرير القلم وهو يكتب رسالة استهداء ؟

أيكون صوتها صوت النار وهي تعاني الاضطرام والالتهاب ؟

أيكون صوتها صوت الماء وقد بحه التهدر من خزان أسوان ؟

أيكون صوتها رجع الشعر المكبوت في قلب الشاعر المهدد بالافتضاح ؟

ماذا يكون هذا الصوت ؟

ماذا يكون ؟

فكرت ، وفكرت ، ثم فكرت ، فلم أجده غير صوت سعاد ، سعاد التي جعلتني مثلا في الحيرة والهيام والتشريد . .

كانت سعاد ترأف بحالي ، كما يعبر أهلي في اشمون ، فلا تزورني الا في الحين بعد الحين ، لئلا أصاب بالجنون

Twitter: @ketab_n

فهل تعرف سعاد ان رنين صوتها يلاحقني في الصباح والمساء ؟

هل تعرف سعاد ان صوتها مصدر شفوني وخيالي ؟

آه ، آه ، آه ، احب لون سعاد ، وأعشق صوت سعاد ، واتمنى أن يكون لونها وصوتها غـاية مـا أملك في عالم الخلود ، ان قضى الله أن يكـون لي في الجنـة نصيب ، وهـل تكـون الجنـة الا من نصيب مجنون سعاد ؟

أنا وحدى الحائر في بيـداء الوجـود ، وسعاد هي القمـر الذي أهتدى به في الظلمات . .

ولكن القمر يضل السارى لأنه يحجب النجوم ، وهي المرشـد والدليل ، وسعاد قمرى وشمسي ، فالى أين أتجه ؟

ومن نورها كان ضلالي ؟

لكل امرىء غاية ، فما غايتي ؟

وما مصيرى ؟

وأين الشاطىء الذي ينجيني من طوفان الوجد والحنين ؟

وأين السبيل الى السلامة من وقدة القلب الخفاق ؟

انقـذيني يـا سعـاد من هـول مـا أعـاني ، ليسلم فـارسـك الصوال . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة التاسعة والخمسون

سعاد . .

كانت ليلة « رأس السنة » من الليالي المشهودة في التاريخ ، تاريخ الهوى والوجد ، فما أذكر أني تذوقت طعم النعيم الا حين قضينا أول ليلة من تلك الليالي ، فهل تذكرين ما وقع في تلك الليلة ؟

أخذنا نراقب الساعة من دقيقة الى دقيقة لنعرف متى منتصف الليل ، ثم تلاقت روحانا في آخر ثانية من العام الذاهب وأول ثانية من العام القادم ، بأسلوب لا أنسى روعته ما حييت ، ولن تذهب حلاوته ، وان طال على عهده الزمان . .

وأنا في هذه اللحظة أراقب الساعة لأعرف متى ينتصف الليل ، عساى أتمثل ذلك المنظر في وقته المعهود ، فمتى ينتصف الليل وأشارف العام الجديد بمثل ذلك المنظر الجميل ؟

انتصف الليل ، يا سعاد ، وأنت من صياحي في أمان ثم مضت دقائق بعد منتصف الليل ، وأنا من نواك في عناء . .

فكيف تكونين في هذه اللحظات ، ولنا في أمثالها تاريخ ؟

أن كنت في ضيافة الاحلام فاذكريني عند طروق طيف الخيال . .

وان كنت في سهرة فاذكرى ان الحياة في ابتسامتها الجذاب لن تنفعك بشيء وانت بعيدة عني ، ولسوف تعلمين عواقب هذا الوعيد . .

Twitter: @ketab_n

كـان الظن أن تحفـظي العهـد ، فتجعلي ليلة رأس السنـة من نصيبي ، لتبقي لنـا حلاوة اللقـاء الاول ، وهو خليق بـأن نصـد عنـه عوادي الفناء . .

أنت صغيـرة القلب ، يا سعـاد ، وصغار القلوب لا يستحقـون نعمة الوجود . .

كم تمنيت أن تحـرسـى قلبـي فـلا يتـطلع الـى سـواك من الملاح . .

ألم أحدثك عشرين مرة أن أسيـوط اسمها الصحيـح سووط ، ومعناه الحارس ؟

كانت سووط تحرس أهل الجنوب من طغيان أهـل الشمال في عهد الفراعين . . وأنت غادة أسيوط فهل تحرسين قلبي وهو في كل يوم هدف لطغيان أهل الشرق والغرب والشمال والجنوب ؟

أنا أملك السلوان عنك حين أريد ، ولكن متى أريد ؟

لقـد انهزمت في ميـدان الهوى ، مـع اني انتصرت في سـائـر الميادين ، فيا رحمة الله اسعفي الشجاع الجريح !

لو كنت أعرف لك منفعة قريبة أو بعيدة في التنصل من غرامي لألقيت حبلك على الغـارب ، وتـركتـك للغـرام المجلوب من أرض السفاهة والجهل ، ولكني أعرف ان غرامي هو حارسك الامين ، وان اقتران اسمك باسمي هو الذي يجعل لك مكانة سامية بين الملاح . .

وهل رأى منك المعجبون غير الملامح التي صورها بياني ؟

أنت معشوقة بديع الزمان ، وهذا حسب ونسب وتشريف ، وبه تعتزين على جميع الغيد ، وترتفعين الى أوج الخلود . .

Twitter: @ketab_n

كان يقال ان لشعراء العرب قصائد تزيد عن المئات في الهتاف باسم سعاد . . وأقول ان تلك القصائد ستفني جميعا وتبقي رسائل مجنون سعاد . .

ألم تسمعي يا غبية ان هذه الرسائل صافحت جميع القلوب ، وملأت اسماع الزمان ؟

أنت لهذه الرسائل أهل ، يا سعاد ، وان كان قلبك قطعة من ثلوج الشمال وأنت لغرامي أهل ، ألم تفجري ينابيع الفصاحة في قلب طيب لا يعرف من قواعد اللغة العربية غير أوهام الظنون ؟

عنك تعلمت ان البلاغة تأخذ وقودها من القلب والروح والوجدان ، ولأهل الهوى مواهب لا يعلم أسرارها غير علام الغيوب . .

أحبك يا سعاد ، وان كنت أخشى أن تكون هذه الليلة خاتمة الهتاف باسمك الجميل ، فما أستطيع أن أتصور كيف ولأي سبب تبعد شفتك عن شفتي عند انتصاف الليل في رأس العام الجديد ؟

أنا أختم هذا الخطاب في نهاية الساعة الاولى من بداية العام الثاني والاربعين ، وكنت ختمت الخطاب الأول في نهاية الساعة الاولى من بداية العام الثاني والثلاثين ، ولغرامي يا سعاد تاريخ يسبق ذلك التاريخ ، وليس من البعيد أن أكون تعرفت اليها في عالم الارواح قبل ملايين الاجيال . .

واذن يكون هيامي بسعاد محنة أبدية أزلية ، لا أستطيع منها الخلاص . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الستون

سعاد . .

مضت شهور طوال ونحن في نزاع وشقاق ، فكيف انتهت بنا الدنيا الى هذا المصير الفظيع ؟

وكيف استطاعت الايام ان تهدم غراما كنا نرجو أن يكون عمره أطول من عمر الخلود ؟

والمزعج أن ينهدم صرح الحب ، ثم لا أشعر أنه خليق بدمعة أو دمعتين في توديع عهده الجميل ، فهل كان ذلك الحب وثناً قوضه الايمان ؟

هل كان ريبا مزقه الايمان ؟
هل كان ظلاما بدده النور ؟
هل كان مرضا صرعه الشفاء ؟

لا أعرف كيف انقشعت تلك السحابة الوجدانية ، ولا أتصور كيف أمسيت وأنا في هواك بعافية ، ولا أدري كيف جاز أن أصبح وأنا من ظلم الهوى في أمان .

هو عهد ذهب وباد ، فعليه ألف تحية وألف لعنة . فما ادرى أكنت فيه من السعداء ، أم كنت فيه من الاشقياء ، وان كنت أومن بأنني خلعت فيه حلل السعادة على من لا يحفظ الجميل . .

لو انتفعت بتأديب الايام لجازيتك بما أنت أهل له ، قبل أن يصبح هوانا النبيل أو الاثيم حديث أهل الافك والارجاف . ولكن

Twitter: @ketab_n

الهوى غطى على بصري وقلبي فلم أر الا أنك دمية تعبدها الاهواء ، والقلوب . .

انتهينا ، ولا أدرى كيف انتهينا ، فليفرح الشامت كيف أراد ، وليهنأ العاذل كيف شاء ، فما فوق نكبتنا نكبة ، ولا فوق بلائنا بلاء . .

انتهينا ، ومضى كل روح حيث يريد ، وغفت عيون كان السهاد شرابها المعسول . .

واطمأنت قلوب كان القلق زادها المأمول . .

انتهينا ، وعرف العاشق كيف يستريح من سهر الليل ، وعرف المعشوق كيف ينجو من عبث الاراجيف ، ولم يبق الا أن تدرج اشلاء الهوى في مقابر العقوق . .

انتهى حلم الحب ، وبيدك الجانية قطع نظام ذلك العهد ، فالى أي طريق تذهبين ، والى أي غاية يتوجه قلبك الحيران ؟ ؟

لن تفلحي بعد اليوم فقد حل عليك غضبي ، ونزعت السحر الذي أضفاه عليك خيالي ، ولن تكوني الا امرأة كسائر بنات حواء . .

انتهينا ، ونبا جنب عن جنب ، ونفر قلب من قلب ، وأعلن « بديع » براءته من « سعاد » . .

لقد هدني حبك هدا ، فلم أجد من القوة ما اعتصر به دموعي واشجاني ، لأودع هواك الذاهب الى مهاوى الفساد . .

جني الغدر ما جني ، وصنع العقوق ما صنع ، فاشربي كأس القطيعة بشهية ، وتناسى اننا تعافينا لحظة من زمان . .

Twitter: @ketab_n

كيف أتـوهم ان السمـاء ستسقط على الارض ، إن وقـع بيننـا شيء من التجافي ، فكيف يقع ما وقع بلا دمعة تذرفها عيني ، وبـلا حسرة يلفظها فؤادي ؟

أنت الجانية ، فعليك تبعات هذا المصير الذميم !

بـأنفاسي اطفىء الشمعـة التي اوقـدتهـا في محـراب الحب ، وكانت العزة اللائحة في جبين سعاد ، ولعلها كانت الامل المتألق في ضمير الفؤاد . .

الى الله اشكو ما صرنا اليه ، بعد أعوام كانت على طولها أقصر عهدا من طيف الخيال . .

الى الله أشكو حرماني من هوى سعاد ، وهي ألطف يتيمة رأتها العيون ، وفيها من المعاني ما يحير الألباب والعقول . .

الى الله أشكو انني لن أراها ولن تراني ، الا اذا تلاقينا مصادفة في عرض الطريق . .

الى الله الذي جعل زاد الخلق من الشـراب والطعـام ، وجعل زادي من الجوى والهيام ، أشكو الجوع الذي يعانيه قلبي ، والظمـأ الذي يقاسيه روحي ، فهل يتفضل فيكرمني بهوى جديد ينسيني هوى سعاد ؟

زمـام قلبي وزمـام روحي في يـديـك ، يـا خـالق الانـوار والظلمات ، فامنحني من القوة ما أنسى به تلك الحسناء الظلوم . .

ولك الحمد ، والثناء . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الواحدة والستون

سعاد . .

كانت الرسالة الماضية آخر سهم أصوبه الى صدرك الجميل لا الرفيق ، فما بصدرك رفق ولا حنان . .

وكان الظن أن ينتهي ما بيننا الى نهاية الآباء ، وان أثوب الى عقلي فلا أضيع الوقت في أشواق لا نفع فيها ولا غناء .

ولكن قصة طريفة جرت اليوم بنادينا في نادي الجمعية الطبية ، ونحن الاطباء لا نعرف التحاسد الذي يفسد ما بين الزملاء . .

وخلاصة القصة ان أحد المرضى عولج بأساليب مختلفة على أيدي أطباء مختلفين ، ومع ذلك ظل من مرضه في عناء . .

ولم يشف الا بعناية طبيب تخرج في كلية باريس . .

وهو طبيب اهتدى الى أن علة ذلك المريض ترجع الى عقدة نفسية مردها الاصيل الى جوع الوجدان . .

وتلك أول مرة نسمع فيها ان الوجدان يظمأ ويجوع . .

وقد ابتسم أستاذنا الدكتور علي باشا ابراهيم . . ثم قال :

هل ترون أن نقترح على مشيخة الازهر ان تبيح افطار الوجدان في شهر رمضان حفظا للصحة العمومية ؟

عند ذلك تنبهت الى الخطر الذي أحدق بي منذ الرسالة الماضية . .

Twitter: @ketab_n

رسالة القطيعة ، فقد رأيت نشاطي تحول الى جمود ، ورأيتني أباشر أعمالي بفتور لم أعانه من قبل ، ولاحظت ان اشفاقي بالمرض قد استحال الى استخفاف . .

كنت في الاعوام السوالف افترض ان كل مريض قد تكون له في الدنيا آمال « بديع » وان كل مريض قد تكون له مآرب « سعاد » وفي ضوء هذا الخاطر اللطيف كنت أعالج مرضاي . .

فكيف صرت اليوم ، بعد الذي كان منك يا ظلوم ؟

صرت افترض ان الدنيا في لؤم ، وخداع في خداع ، وان لا موجب لأن يسلم مريض من بلواه ، في دنيا لا كرم فيها ولا وفاء . .

كذلك صرت ، والى هذا انتهيت ، وآفة الآفات ان يمس الطبيب وهو عليل . .

هواك يا سعاد صحة للروح ، وعافية للوجدان ، والبرء من هواك هو الداء الذي استفاد منه الحكماء ، ومنه أستعيذ ، ان كان من برء الهوى معاذ . .

كان في خطابك الاخير انك بكيت بعد قراءة الرسالة الماضية ، وانك ستبذلين في الاستغفار أقصى ما يطيق المستغفرون ، ويحزنني أن أقول :

ان دموع قلبي جفت قبل أن تجف دموع عيني ، فلن أستمع أو أجيب ، لمستغفر أو منيب . .

ذنوبك معروفة ، يا شقية فاخدعي رجلا غيري ؟

ذنوبك معروفة ، معروفة ، فأنت تؤمنين بالمثل الذي يقول :

« العين لها ألف ، والقلب له واحد » . .

Twitter: @ketab_n

وهـو مثل سخيف ، لأن العيـون رواد القلوب ، وبتلون العيون تتلون القلوب . .

فما هذا السخف الذي تصطنعين ؟

والى أي هاوية تنحدرين ؟

كيف جاز أن تزورى القاهرة ولا أراك الا بعد ليلتين ؟

وما أتهمك بشيء يا سعاد ، فأنت فوق التهم والظنون ، يا غاية الروح ويا أمل الفؤاد ، ويا مطمح « بديع » من « سعاد » . .

لـو اتهمتك بشيء لمضيت فقتلتـك عـلانيـة في أحـد شـوارع أسيوط ، وانما أعيب عليك الانشغاف بالتلطف مع خلائق لا يقام لها في عالم الفكر ميزان . .

لا يجوز للمرأة غير ما يجوز لليمامـة ، واليمامـة لا تعرف غيـر أليف ليس له شريك . .

تأدبي ، تأدبي ، يـا شقية ، واذكـري اني وقفت عليك احـلام فؤادي . .

تأدبي ، تأدبي ، يا سعاد ، ولن أنسى أنك كنت مصدر الوحي لقلمي عددا من السنين . .

أيتهـا اليتيمة في أسيـوط ، تذكـرى اليتيم في اشمون يـا يتيمة الأب ، تـرفقي بيتيم الأبوين ، وقـد رضيت أمـك بـأن تكـون أمي ، فكيف رفضت أن تكوني أختي ؟

تحيتي الى أمك الغالية ، وسلام على الحب الذي أبدعناه في سنة ١٩٣١ ، ثم دفناه في سنة ١٩٤٢ . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الرسالة الثانية والستون

سعاد . .

ليلة العيد . . .

هي ليلة ناجيت فيها الاطياف ، وسامرت فيها الذكريات لأحيى عهد الهوى الذي لا يموت . .

كنت صبرت فجفوت فسلوت ، ولم أعلم أن الصبر والجفوة والسلوة ألفاظ لا يصل صداها الى سرائر الوجدان . .

هي ليلة عيد ، ويا ويح من يوقد الشموع لذكريات الهوى في ليلة العيد !

لو شئت لمضيت الى دار الهوى فألقيت عليها تحية ، أو طيف تحية . .

ولكني لا أشاء ، لأني اخشى أن يثور القلب بعد أن ارتاض على الهدوء ، وأنا قد ضمنت لنفسي الامان من احتراق الروح في كوثر الوصال ، بذلك الارتياض ، وقد يراض القلب الجموح !

لا بد مما ليس منه بد . .

لا بد من قطيعة دامية ينحسر بها طغيان الضلال . .

وللحب اسماء كثيرة . . أشهرها الضلال . .

وما الذي يمنع من المجازاة ، صدودا بصدود ، وعناداً بعناد ؟

ان جمرات القلوب أقوى من جمرات الخدود ، فما خوفي من حرب سأكون فيها الغالب لا المغلوب ؟

Twitter: @ketab_n

ان في قلب الشاعر كنوزاً أنفس واثمن من كنوز الجمال ، فهو اذن أحق وأجدر بالدلال . .

أنا أملك الاستغناء عنكم ، ولا تملكون الاستغناء عني . .

ان مصر الجديدة تبدع امثالكم في كل يوم ، ولكنها لن تبدع قلبا مثل قلبي ، ولو طال الزمان . .

ما هذا الذي أقول ؟

أنا مقبل على الجحود ، ان كنت أعنى ما أقول . .

أن مصر الجديدة لم تنجب جمالا في فتنة جمالكن الوهاج ، الجمال الموحى الذي يساور الروح بأعنف مما تصنع الصهباء . .

لن أجحد جميلكم أبداً ، ولن تروا منى غير الجميل كنا تواعدنا على التلاقي في هذه الليلة بذلك المكان ، ولكني سأخلف الميعاد ، لتعرفوا ان للشعر دلالا أخطر من دلال الجمال . .

لن أعفو عنكم ، أو يعود الوحي ، فلا قيمة لغرام بلا ايحاء . .

أتذكرون انكم هددتم يوما بالقطيعة الابدية ؟

وأنا أيضا أهددكم كما هددتموني ، فلى نجيان كريمان هما : « القلم والقرطاس » . .

وفي استطاعتي أن أستغني عنكم بهذين النجبين ، الى آخر الزمان . .

لا تنزعجوا من اخلاف الميعاد ، فقد اخلفت مع نفسي الوف المواعيد . .

وما كان حبي لكم الا صورة من حبي لنفسي . .

هي ليلة عيد أحاول فيها ظلمكم يا ظالمين ، فاشربوا من

Twitter: @ketab_n

الكأس الذي شعشعتموه بالسم الزعاف . .

ما هذا الذي يزلزل روحي كلما خطرتم في بالي ؟

وما قيمة الدنيا ان لم نعش فيها بمنجاة عن الاستعباد ؟

أنا ثائر عليكم ، ثائر ، ثائر ، فما يجوز أن أطالب بالحرية لوطني ، وأرضى العبودية لنفسي . .

ليتني لم أخلف الميعاد ، فقد كنت أحب أن أرى منكم كيف تنسكب أنوار القمر ، في عيد القمر ، وكيف تصير مصر الجديدة اقباساً من الضياء المسكوب ، في شعاب القلوب . .

هل انتظرتموني بذلك المكان ؟
وهل عتبتم على العاشق الذي يخلف الميعاد ؟
وهل اعتزمتم التهديد بالقطيعة من جديد ؟

أنا تحررت من هواكم في هذه الليلة ، تحررت ، تحررت ، لأعاني عذاب الأسر في رحاب الاشواق . .

هي ليلة عيد ، لأني عرفت معني الثورة على الهوى في ليلة عيد . .

ما جال في الخاطر ، ولا طاف بالبال ، اني سألقي عيد القمر ، بلا قمر ، واني سأواجه عيد القمر بظلمات من العقوق . .

لقد انتصف الليل ، وسألت عنكم ، ولا سألتم عني بعد اخلاف الميعاد . .

لن أعفوا عنكم ، أو يعود الوحي ، فلا قيمة لغرام بلا ايحاء . .

ماذا أريد منكم ؟

Twitter: @ketab_n

وماذا تريدون مني ؟

لقد افتضحنا بالحب ،فلتصنع الاقدار ما تشاء . .

أنـا خلفت الميعاد ، أخلفت ، أخلفت ، لأضمن فيكم ثـائـرة الحقد ، بعد أن يئست من آصرة الود . .

وتـأريث نـار الغضب ينفعني ، فـأنـا أعلم وأنتم تعلمـون ان الاهتمام بالعدو أقوى من الاهتمام بالصديق . .

* * * *

انتصف الليل ، وسينتهي . . وقد ابتعد جنب عن جنب ، وان لم يبتعد قلب عن قلب . .

سيتحدث العشاق في صباح العيد ، عما صنعوا في ليلة العيد ، فماذا الذي أعددناه للحديث عن ليلة العيد ؟

سنقول اننا كنا في جهل الاطفال ، وهو جهل ظفرت منه بأكبر نصيب ، حين أخلفت الميعاد . .

ولكني لن أندم على ما فعلت ، فقد كان يجب أن أذيقكم طعم الصدود ، وأن أذيق نفسي طعم الجفاء . .

ألم أقل أني صبرت فجفوت فسلوت ؟

هو ذلك ، ولكني لم أعلم أن الصبر والجفوة والسلوة . .

ألفاظ لا يصل صداها الى سرائر الوجدان . .

أأنت تملكين كل هذه الفتنة يا سعاد ؟

سأنزع من طلعتك البهية هـذا السحر الفتـان ، ان استطعت ، وكيف استطيع وجمالك يا سعاد جذوة مقبوسة من نار الوجود ؟

Twitter: @ketab_n

لم تضع من أيدينا هذه الليلة ، وان أخلفت الميعاد ، فلم أغتبق بلقياك في ذلك المكان . .

ألا يسرك ان تعرفي ـ ولو مرة واحدة ـ أني أملك السيطرة على هواى ؟

أنا نجيك في هذه الليلة ، برغم ما اقترفت من اخلاف الميعاد ، الا ترين كيف آخذ المداد لقلمي من دماء قلبي ؟

ستذهب أحاديث المحبين ، ويستشغل عنها سمع الزمان . . فلا يعى منها غير اصداء ، ثم يخلد الحديث الذي سطرناه بهوانا فوق جبين الخلود . .

الفجر ينبثق عند طلعة العيد . . وأنا بعيد منك وأنت بعيدة مني . . فمتى نلتقي يا سعاد ؟

سأمر على دار هواى مرور الطيف ، لأسلم على الجدران ، لا على المكان . .

نحن في خصومة ، ولن نصطلح ، ولو وفيت بألف ميعاد وميعاد !

ذوقي طعم الهجر ، ذوقيه ، ذوقيه ، فقد كدرت بالهجرة حياتي . . وان كنت أومن بأنك لي وحدي ، فما يستطيع انس ولا جن أن يثبت في المكان الذي يطوف به خيالي . .

يا نميمة العين على القلب ، ويا شهادة الخد على عافية الجسد وعافية الروح ، ماذا تريدين ؟

وماذا يريد بنا الهوى يا سعاد ؟

لا أستطيع الجموح اليك في هذه اللحظة ، لأني أتوهم ان

Twitter: @ketab_n

انتظارك لميعادي طـال وطال ، وانـك الآن في غفوة من شـرب حتى أفاق . .

والادب لا يسمح بازعاج الشارب المفيق . .

وقـد سقيتك بيـدى كأس الحب ، وأنـا أخلف الميعاد في ليلة العيد . .

يا نميمة العين على القلب ، متى نلتقي ؟
متى نلتقي يا نميمة سعاد على . . .

بديع الزمان

Twitter: @ketab_n

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة
* مقدمة بقلم كريمة زكي مبارك	٧
* الرسالة الأولى	١٤
* الرسالة الثانية	١٧
* الرسالة الثالثة	٢١
* الرسالة الرابعة	٢٢
* الرسالة الخامسة	٢٥
* الرسالة السادسة	٣٠
* الرسالة السابعة	٣١
* الرسالة الثامنة	٣٢
* الرسالة التاسعة	٣٣
* الرسالة العاشرة	٣٤
* الرسالة الحادية عشرة	٣٧
* الرسالة الثانية عشرة	٤٠
* الرسالة الثالثة عشرة	٤٤
* الرسالة الرابعة عشرة	٤٩
* الرسالة الخامسة عشرة	٥٣
* الرسالة السادسة عشرة	٥٥
* الرسالة السابعة عشرة	٥٧
* الرسالة الثامنة عشرة	٥٨
* الرسالة التاسعة عشرة	٥٩
* الرسالة العشرون	٦٠
* الرسالة الواحدة والعشرون	٦١
* الرسالة الثانية والعشرون	٦٢

Twitter: @ketab_n

الموضوع	الصفحة
* الرسالة الثالثة والعشرون	٦٣
* الرسالة الرابعة والعشرون	٦٥
* الرسالة الخامسة والعشرون	٦٨
* الرسالة السادسة والعشرون	٧٠
* الرسالة السابعة والعشرون	٧١
* الرسالة الثامنة والعشرون	٧٣
* الرسالة التاسعة والعشرون	٧٤
* الرسالة الثلاثون	٧٧
* الرسالة الواحدة والثلاثون	٨٠
* الرسالة الثانية والثلاثون	٨١
* الرسالة الثالثة والثلاثون	٨٢
* الرسالة الرابعة والثلاثون	٨٤
* الرسالة الخامسة والثلاثون	٨٦
* الرسالة السادسة والثلاثون	٨٩
* الرسالة السابعة والثلاثون	٩١
* الرسالة الثامنة والثلاثون	٩٣
* الرسالة التاسعة والثلاثون	٩٦
* الرسالة الأربعون	٩٧
* الرسالة الواحدة و الأربعون	٩٨
* الرسالة الثانية والأربعون	١٠٠
* الرسالة الثالثة والأربعون	١٠١
* الرسالة الرابعة والأربعون	١٠٢
* الرسالة الخامسة والأربعون	١٠٤
* الرسالة السادسة والأربعون	١٠٦
* الرسالة السابعة والأربعون	١٠٩
* الرسالة الثامنة والأربعون	١١٦

Twitter: @ketab_n

الموضوع	الصفحة

* الرسالة التاسعة والأربعون ١١٨
* الرسالة الخمسون ١٢٠
* الرسالة الواحدة والخمسون ١٢٥
* الرسالة الثانية والخمسون ١٢٧
* الرسالة الثالثة والخمسون ١٢٩
* الرسالة الرابعة والخمسون ١٣١
* الرسالة الخامسة والخمسون ١٣٢
* الرسالة السادسة والخمسون ١٣٥
* الرسالة السابعة والخمسون ١٣٦
* الرسالة الثامنة والخمسون ١٣٩
* الرسالة التاسعة والخمسون ١٤٢
* الرسالة الستون ١٤٥
* الرسالة الواحدة والستون ١٤٨
* الرسالة الثانية والستون ١٥١

Twitter: @ketab_n

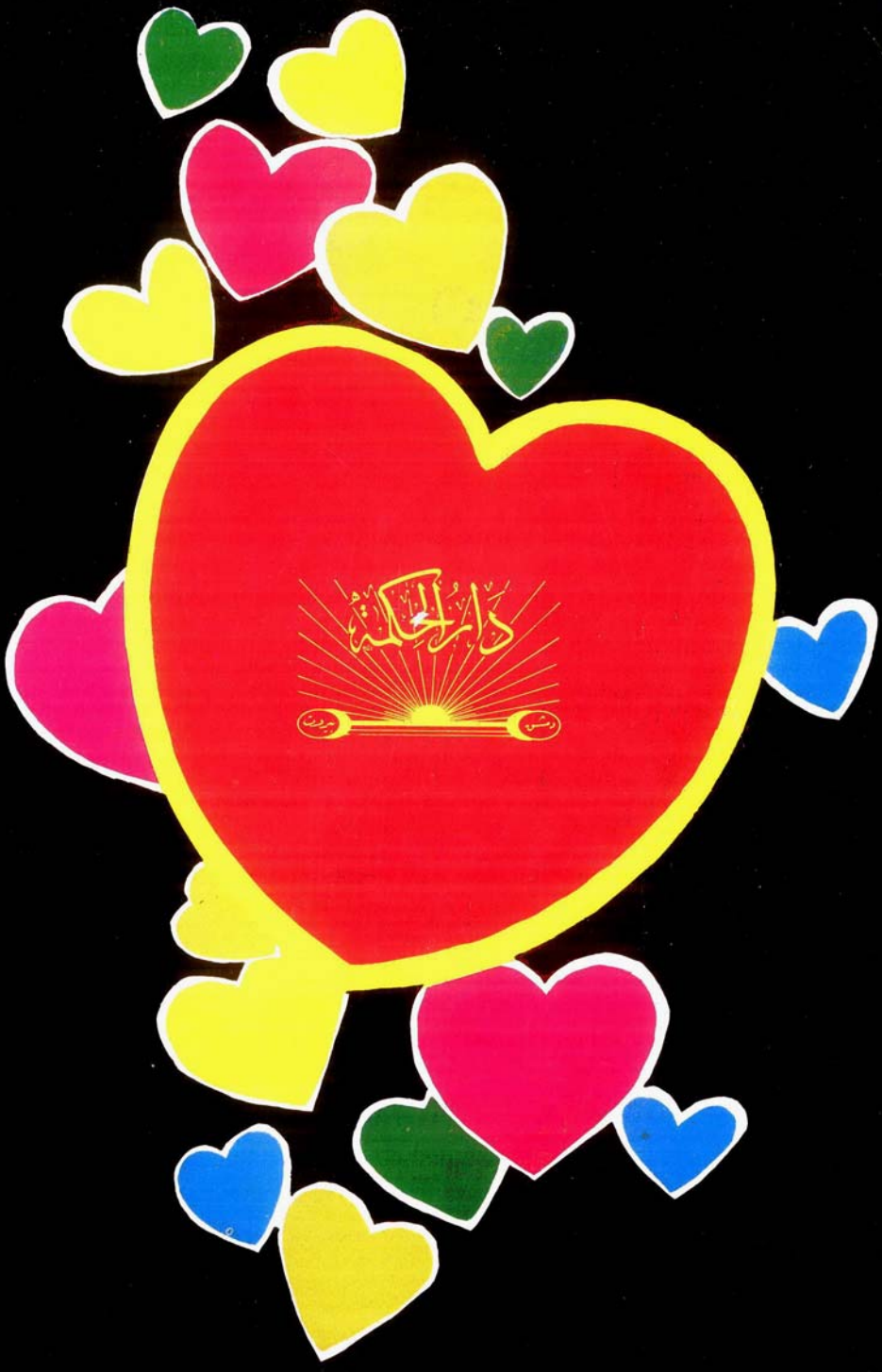
دار الحكمة